التسميـم الاعلامـي

بيـن الحربين النفسية والإعلامية

media labeling

Between the psychological and media wars

الدكتـــــور

سعــد معــن الموســوي

Dr. Saad Maan Al Mousawi

الملخص

شكلت عملية التسميم الاعلامي عبر وسائل الاعلام واحدة من الطرائق الرئيسة في الحرب الاعلامية التي تعتمد بالأساس على الدوافع النفسية، وبذلك فأنها تستخدم اساليب الحرب النفسية ذاتها، فاعتماد هذه الاساليب في وسائل الاعلام بشكل برامج حوارية او مقابلات او مقالات او مسلسلات بعني ان هذا النوع من الحرب تحول الى حرب اعلامية بأبعاد نفسية، وهو مصطلح جديد ينبغي تأصيله .

وفي هذا الصدد يقول احد الباحثين في تشخيصه لحالة الحرب الاعلامية النفسية التي نعيشها اليوم ان الإنسان يعيش في عديد من الدول والمجتمعات البشرية في عصرنا الحالي أزمة وجود، أو محنة استقرار أساسها الصراع الدائر بين الأقوياء من جهة، وأقوياء آخرين من جهة أخرى، وبين الأقوياء أو بعضهم من جانب والضعفاء وبعضهم من جانب آخر، وكذلك بين الضعفاء وأمثالهم، صراع دائم يفضي إلى محن وأزمات مستمرة اختلف المختصون في علم النفس والاجتماع بشان طبيعتها وأسباب حدوثها وأبعادها البنائية وبدايات الحدوث، أو ما يسمى بالجذور التاريخية لها، ويعود هذا الخلاف إلى تعدد المناهج التي تتناول مثل هذه الأمور، وكذلك إلى التعقيد الموجود في النفس البشرية، وهي خلافات تعكس التناقض العميق لرؤى الأزمات والدلالات والمعاني ذات الصلة بالتعامل معها، أو التحرر منها ومضامين هذا التحرر.[١]

ولابد من القول ان نشأت مفهوم الحرب النفسية لم ترتبط بتطور تقنيات الإعلام ولا بشيوع تطبيقات النظام الدولي الجديد بل ويعود إلى الحروب، عندما أدرك بعض القادة العسكريين أن جنودهم يقاتلون قتالا شرسا تارة، ويتبلدون حد الجبن تارة أخرى، وكذلك جنود العدو الذين يستبسلون في الدفاع عن مواضعهم تارة، وينسحبون متقهقرين تارة أخرى حتى عزوا ذلك التناقض الانفعالي إلى العامل النفسي وتوجهوا إلى المختصين لدراسته وتطوير وسائل تقويته عندهم، وإضعافه عند خصومهم، فكانت إجراءاتهم العملية في هذا المجال تشمل العديد من الوسائل والأدوات التي وضعت تحت عنوان الحرب النفسية، وعُرِفَت ما بعد الحرب العالمية الثانية بالاستخدام المخطط من

(١) سعد العبيدي، الحرب النفسية في النظام الدولي الجديد واتجاهات التحصين في المنطقة العربية والاسلامية، شبكة النبأ المعلوماتية،

https://annabaa.org/nba55/harbnafsia.htm.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

جانب الدولة في وقت الحرب أو في وقت الطوارئ لإجراءات عاتية بقصد التأثير على أراء وعواطف وسلوك جماعات أجنبية عدائية أو محايدة أو صديقة بطريقة تعبر عن تحقيق سياسة الدولة وأهدافها.[1]

وعليه فأن هذه الاجواء التي يعيشها الانسان في ظل تداعيات الحرب الاعلامية النفسية تكون عرضة للتسميم السياسي، وعليه يركز هذا الكتاب في تناوله لمصطلح جديد مرادف لمصطلح التسميم السياسي الا وهو التسميم الاعلامي الذي يستثمر وسائل الاعلام جميعها بتقنياتها كافة لتحقق اهداف الحرب الاعلامية النفسية.

Abstract

The process of media poisoning through the media constituted one of the main methods in the media war, which depends mainly on psychological motives, and thus it uses the same methods of psychological warfare. The adoption of these methods in the media in the form of talk shows, interviews, articles or series means that this type of war It turned into a media war with psychological dimensions, a new term that should be rooted.

In this regard, one of the researchers says in his diagnosis of the state of psychological media war that we are living in today that man lives in many countries and human societies in our current era an existential crisis, or a crisis of stability based on the ongoing conflict between the powerful on the one hand, and the powerful of others on the other hand, and between the powerful or Some of them on one side and the weak and some on the other side, as well as between the weak and their ilk, a permanent struggle that leads to continuous ordeals and crises. Psychologists and sociologists have differed regarding their nature, reasons for their occurrence, structural dimensions and the beginnings of their occurrence, or what is called their historical roots. This disagreement is due to the multiplicity of approaches that You deal with such things.

(١) سعد العبيدي، مصدر سبق ذكره .

التسميم السياسي عبر وسائل الاعلام واساليبه في القتال النفسي

ان اخطر الاساليب المتبعة في التسميم السياسي تأتي عن طريق وسائل الاعلام اذ يؤدي الإعلام بأشكاله ووسائله كافة دوراً مهماً وأساسياً في ممارسة الحرب النفسية او مواجهتها وذلك من خلال تسخير الإذاعات والمحطات الفضائية والصحف والمواقع الإلكترونية لبثّ برامج وندوات ومقالات وتحليلات تستهدف تحطيم الروح المعنوية والنفسية، وهناك من يؤكد ان الحرب النفسية أكثر خطورة من الحرب العسكرية، ويأتي التسميم السياسي في مقدمة اساليب القتال النفسي التي تهيأ الارضية المناسبة لمسرح عمليات الحرب النفسية.

فقد استخدم الاعلام على مر العصور في تكتيكات الحرب النفسية التي تعد اخطر انواع الحروب اذ يدرك الجميع اهميتها، فهذه الحرب كما حددها (رمزي المنياوي) تأخذ صورة من صورتين:[1]

١ . الاولى: اما ان تكون خطة هدفها احداث التأثير على المدى الطويل وهي ما نتعرض له في حياتنا اليومية منذ زمن طويل كالقنوات الفاسدة والافلام الماجنة وكتب التاريخ المغلوطة والتشكيك المستمر في الدين والعقيدة وغير ذلك كثيرا .

وهذه الاساليب بمكن ان تحقق تسميما للأجواء النفسية والاجتماعية والسياسية في المجتمع .

٢ . الثانية: اما ان تكون خطة هدفها تأثير سريع ذات هدف محدود في وقت معين تؤتى ثمارها في حينها، وهذا النوع الاخير يبين ادراك حقيقة اهمية الاعلام ودوره في الحرب النفسية ومدى تأثيرها على همة الشعوب بالإيجاب والسلب .

(١) رمزي المنياوي، الحرب النفسية والطابور الخامس – فن تحطيم العدو من دون حرب وانزال الهزيمة به دون قتال، دار الكتاب العربي، دمشق – القاهرة، ٢٠١٠، ص١٦٩ .

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

وعليه يتبين ان من اهم الوسائل التي تعتمد عليها الحرب النفسية واساليب التسميم السياسي هي وسائل الاعلام المرئية والمسموعة والمقروءة لأنها تغزو الانسان بشكل مباشر ولاسيما عندما يكون هذا الانسان غير محصن بوعي وبصيرة فأنه يكون عرضه لما يأتي من قبل هذه الوسائل الإعلامية من خير وشر الا ان وسائل اعلام العدوان لا يأتي منها الخير دائما فهي خصصت لنشر الضلال والفساد والثقافات المغلوطة والتهويل والارجاف ونشر الشائعات، اما اذا كان الانسان محصن بالوعي وبالثقافة فأنه لن يلتفت الى ما تقوله هذه الابواق ولا يبالي بها .[1]

وعليه فأن الحرب النفسية واساليب التسميم في مقدمتها هي إعلامية بشكل أساسي اذ يتم الاعداد لها ودراستها بشكل منسق ومدروس ومنظم ثم اطلاقها في الوقت المناسب عبر وسائل الاعلام لكي تغزو المجتمع المستهدف، وقبل ان يتم نشر أساليب ومشاريع الحرب النفسية والتسميم السياسي عبر وسائل الاعلام يتم اولاً دراسة المجتمع ودراسة المواضيع التي تتناسب مع اهداف العدو ومع المرحلة بشكل جيد وبعدها يتم توزيع المادة الإعلامية المعدة مسبقاً على وسائل الاعلام على شكل مراحل وبطريقة مدروسة ومرتبه تستهدف المجتمع بكل اطيافه فاذا كان هذا المجتمع محصن بالثقافة والوعي فلن تستطيع التأثير عليه اما اذا كان المجتمع معرض للضلال ومجرد لاقط وسماع لما يأتي فانه يسمح لعدوه باختراقه ويمكنه من نفسه. وهنا يبرز مصطلح الحرب الاعلامية كرديف لاستخدام الحرب النفسية عبر وسائل الاعلام، فالحرب الإعلاميّة هي عبارة عن بث الأفكار،

(١) زيد البعوه، دور وسائل الاعلام في مواجهة الحرب النفسية، يمانيو، https://www.yamanyoon.com/?p=68007، تاريخ الدخول 20 - 7 - 2019 .

والشائعات، والمعلومات الخاطئة والمغلوطة وغير السويّة بين الناس من خلال الفضائيات، والإذاعات، والإنترنت، والجرائد والمجلات بهدف تغيير وجهات النظر وتسييرها باتجاه ما هو مطلوب منها، وتحقيق التضليل الإعلامي، والتلاعب بالرأي، والوعي العام، وسلوك المواطنين، وتعدّ الحرب الإعلاميّة من أخطر أنواع الحروب نظراً لتأثيرها في نفسيّة متلقي المعلومة وعمل غسيل دماغ لما يؤمن ويقتنع به مما يجعله يغيّر الواقع اتباعاً لما تلقى وترسّخ في عقله، كما أنّها تعدّ حرباً باردة لا يمكن التنبؤ بنتائجها ونهايتها، وفي بعض الحالات لا يمكن معرفة المسؤول عنها، كما تأتي الحرب الإعلاميّة مرافقة لبقية أنواع الحروب سواء كانت عسكريّة، أم اقتصاديّة، أم سياسيّة، وقد تكون في حالة السلم بهدف فساد عقول الشباب والأمة، ونشر الفوضى والإرباك بين صفوفهم.(١) وبذلك تؤثر الحرب الإعلاميّة في نفسيّة المتلقي سواء كان مستمعا او مشاهدا او قارئاً وتثبيط عزيمته، وسلب الإرادة منه ومن ثم سهولة السيطرة عليه ويسبق ذلك كله تسميم الاجواء الممهدة للحرب الاعلامية والنفسية، فكم من حرب تم تحقيق النصر فيها بسبب ما تم بثه من أفكار ومعلومات بين الجنود، ونظراً إلى أهمية الحرب الإعلامية امتلكت القوات العسكرية محطات خاصة بها لتبث ما تريد من معلومات بين المواطنين وبين الجنود للتحكم في سير الأمور، ومن جهة أخرى قد يكون للحرب الإعلامية نتائج إيجابية من خلال رفع معنويات المواطنين والجنود في أرض المعركة، ومن ثم حماية أموالهم وممتلكاتهم من سيطرة العدو عليها، لكن في هذه الحالة يجب

(١) نزار أبو منشار (١٣-٨-٢٠١٤)، «الحرب الإعلامية»، wattan، اطّلع عليه بتاريخ ٣-٧-٢٠١٨. بتصرّف.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

توخي الدقة والحذر عند بث المعلومات؛ لأنّها يجب أن تكون حقيقيّة وقريبة من الواقع حتى لا تكون النتائج سلبية عند معرفة المواطنين والجنود بالحقيقة والواقع، لذلك على الأمة، والدول، والمجتمع التنبّه إلى خطورة الحرب الإعلاميّة، وترسيخ المبادئ، والقيم، والأفكار السليمة عند المواطنين والجنود العسكريين؛ لتحصينهم ضد أي هجمات قد تكون مستترة تحت غطاء العلم، أو التثقيف، أو المساعدة من الخارج.(١)

وبصدد استخدام اساليب القتال النفسي ومنها التسميم السياسي في وسائل الاعلام عبر الحرب الاعلامية كشف (محمد قيراط) عن فشل المنظرين وعلماء الإعلام والاتصال فشلا كبيرا في وضع معايير ومحددات لشرح سلوك المؤسسات الإعلامية والصحفيين أثناء تغطية الحروب والأزمات، فالنظريات الأربع: نظرية السلطة، نظرية الحرية، النظرية السوفيتية، نظرية المسؤولية الاجتماعية لم تتطرق إلى إشكالية علاقة الحكومة بوسائل الإعلام في زمن الحرب والأزمات، كما لم تتطرق إلى علاقة الصحافي بالسلطة في هذه الظروف، وما يمكن قوله في هذا السياق هو أن الممارسة الإعلامية في زمن الحروب والأزمات لا تختلف من نظام إعلامي إلى آخر ولا من نظام سياسي إلى آخر و تصبح متشابهة اذ يتحول الإعلام إلى مزيج من الإعلام والعلاقات العامة والحرب النفسية والدعاية والتلاعب والتضليل والتشويه سواء تعلق الأمر بالدول الديمقراطية أو الدول الشمولية أو الدول المتقدمة أو الدول النامية أو غيرها من الأنظمة

(١) Maj Brady، -The Role of - defencejour- ،«Media in War nal، Retrieved 3-7-2018. Ed- ited.، بدلالة اكبر موقع عربي على الشبكة الدولية، موقع موضوع، مفهوم الحرب الاعلامية، ١٧ اغسطس ٢٠١٨، على الربط com.mawdoo٣.www .

السياسية المتواجدة في هذا الكون.[١]

من جهة أخرى نلاحظ أن الممارسة الإعلامية في زمن السلم والظروف العادية تختلف عن زمن الحروب والأزمات لاسيما إذا تعلق الأمر بالدول الديمقراطية والتي لها تقاليد في حرية الصحافة اذ يعيش عالم اليوم صراعات ونزاعات عنيفة وحروبا وأزمات عديدة ومختلفة كالإرهاب والأزمة المالية العالمية؛ أزمات تتسم كلها برهانات وانعكاسات وخيمة جدا تمس الفرد والمجتمع والدولة، فالأزمات طالت كل المجالات الحياتية وأدت إلى إعادة تشكيل العلاقات بين الأمم والدول والشعوب على وفق عوامل ومعطيات يعجز الأفراد والمؤسسات وحتى الأنظمة على التحكم فيها، فكيف تتعامل وسائل الإعلام مع الأزمات المختلفة؟ وهل أداؤها في هذه الظروف يختلف عن أدائها في الأوقات العادية؟ وهل تكتفي وسائل الإعلام بتغطية الأزمة؟ أم تسعى إلى تقديم حلول لها أم إنها تسّيسها وتستغلها لتحقيق أهداف ومصالح معينة؟ هل تواجه المؤسسات الإعلامية ضغوطا معينة عندما تتعامل مع الأزمات؟ هل هناك قرارات أخلاقية يلجأ القائمون على المؤسسات الإعلامية إلى اتخاذها نظرا للرهانات والانعكاسات العديدة التي تتميز بها كل أزمة؟

في وقت تنتشر وتتكاثر فيه الأزمات بمختلف أنواعها وأشكالها وفي مختلف مناطق العالم، وفي ظروف صعبة يسودها التعتيم والتضليل والتشويه والأفكار المسبقة والصور النمطية وصراع الثقافات والحضارات والعنصرية والجهل وثقافة إقصاء الآخر والصراع المحتدم على الصورة والرأي العام، يتساءل الفرد في المجتمع عن مصداقية ما يشاهده ويسمعه ويقرؤه، أين هو الحياد والموضوعية والأخلاق في تغطية وسائل الإعلام لما

(١) محمد قيراط، الحرب النفسية والدعاية والتضليل في تغطية الازمات، بوابة الشرق الالكترونية، الجمعة ٢٤ - ٨ - ٢٠١٨ .

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

يجري في أنحاء عديدة من العالم؟، أين هو الصدق وأين هو التهويل؟ أين هي الحقيقة وأين هي الدعاية؟ ما هو دور الإعلام في مثل هذه الحالات؟ هل تتحول وسائل الإعلام في زمن الحروب والأزمات إلى آلات لإثارة الفتنة والتهويل والتضخيم والتسييس والتلاعب بدلا من تنوير وتثقيف وتوعية الرأي العام بهدف الحوار والنقاش والتفاهم وإطفاء نار الضغينة والحقد والكراهية، هل صحيح أن منطق الحرب يقوم على أن (الحرب بدون تلفزيون ليست حرب)، وهل أن جوبلز على حق عندما قال «اكذب ثلاث مرات ففي المرة الثالثة ستصدق كذبتك وتهيمن هذه الأيام ظاهرة انتشار التضليل والتعتيم والصور النمطية والتشويه، وانتشار ظاهرة ثقافة الحقد والكراهية والخوف من الأخر والعمل على إقصائه في وسائل الإعلام المختلفة، فالعالم اليوم يعيش صراع الصورة وصراع شرس على كسب الرأي العام، وهذه الصراعات مع الأسف الشديد تحدث في أحيان كثيرة بتواطؤ غير أخلاقي وغير شريف لوسائل الإعلام مع سلطة المال والسياسة.[1]

ومن يتأمل التاريخ البشري يجد أن الحرب كانت موجودة دائماً بين الأفراد والجماعات والعشائر ثم القبائل، فعندما تطور الإنسان في ميدان الارتقاء الاقتصادي والاجتماعي استمرت جذوة الحرب لا تنطفئ لها، فالحرب مهما اختلف تعريفها ليست إلا صراعاً دموياً بين إرادتين تبغي كل منهما التفوق على الأخرى وتحطيم مقاومتها بهدف حملها على الاستسلام ، ويتخذ هذا الصراع صورة العنف ومظهره القتال بين قوات الخصمين، وأحسن صور إدارة الحرب هي تلك التي تستطيع الدولة من خلال أطرها إضعاف موقف عدوها دون قتال ، وهذه الصورة من صور إدارة الحرب لا تستخدم فيها المدافع أو الدبابات ولا

(١) محمد قيراط، مصدر سبق ذكره .

القنابل وإنما هي مستقلة عن مفاهيم الحرب الفعلية و أقوى منها و أشد أثر وتلك هي الحرب السيكولوجية أو النفسية، والبحث في النفس البشرية علم قديم ، كما أن محاولة التأثير على النفس والروح البشرية محاولة قديمة قدم البشرية نفسها ، فقد نشأ النزاع بين الناس منذ بدأ الخليقة ومنذ أن وجدت هذه المنازعات سواء كانت سلمية او حربية يسعى دائماً كل طرف من أطراف النزاع قبل وأثناء المعركة الى إضعاف موقف الطرف الآخر عن طريق شن هجوم عنيف على القوة النفسية لدى الطرف الآخر.(١)

فمحاولات تضبيب العقول بوسائل الأعلام هي احدى ظواهر الحرب النفسية، التي يُشكّل توخي تعميمها الى تغيير وجهات التفكير نحو حالة من الجمود، على ثوابت من المُسلّمات المعلوماتية المغايرة للحقائق، والضارة على أية حال بمعارف الجمهور المتلقي للأعلام، ويمكن من حيث تسمية انواع المدارس الاعلامية المتخصصة في تصدير الحرب النفسية، ضد خصوم الفكر، او العقيدة، او المبدأ الاستدلال بالاتي:(٢)

١. مدرسة الفكر الاعلامي البرجوازي – ومثالها الإعلام الغربي وتشكل هذه المدرسة بمجموع مؤسساتها الإعلامية المتنوعة، مرتعاً لإظهار الغرب وكأنه يمثل نهاية المطاف المراد لنيل الآمال المرتجاة منه فقط، وكل ما دونه غير مؤهل لذلك، ولا يمكن ان يكون جديراً لوضع الحلول المطلوبة، لما يعتري البشرية من مشاكل واستعصاءات.. فأي غرور اعلامي هذا ؟

٢. مدرسة الفكر الاعلامي التبعي – ومن صفوف مثالها الاعلام في معظم البلدان النامية، وما تقدمه هذه

(١) محمد عبد الحميد، حرب بلا قتال، مجلة المعركة، الاثنين ٢٦ كانون الاول ٢٠١٦ .

(٢) جبار محمود، استلابات الحرب النفسية الاعلامية / النبأ، العدد: ٣٨، رجب ١٤٢٠ هـ .

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

المدرسة لا يتعدى في افضل الأحوال من ترديد ببغائي بما يمليه الغرب عليها، من بلورة مواقف وافكار وتعليقات وآراء، بحيث تُقدّم بطرق نادراً ما يصاحبها إظهار التباين الحقيقي لذا فهذه المدرسة اللاهثة وراء اطروحات الغرب والمنفذة لأوامره بصورة عمياء، يُلاحظ أن روادها وقياديها وكوادرها، لم يدعو شيئاً لخط رجعتهم الى طريق السوية الاعلامية، حتى أمام بني جلدتهم، بعد ان انسلخوا برغباتهم وإرادتهم عن مجتمعاتهم.

٣ .مدرسة الفكر الاعلامي المتلاعب – ومن مثالها الإعلام الانتهازي غير الهادف، ويمكن اصدار التقييم الأولي على هذه المدرسة المستفيدة ماليا والحاصلة على وجاهة تافهة واللا مفيدة للجمهور المتلقي للإعلام، بان المجازفة بالسمعة هي ابرز سمة تجمع بين الاعلاميين العاملين فيها، اولئك المفتقرون للكثير من التطلع الواعي، الذي تُبنى عليه موجبات وغايات الرسالة الإعلامية السامية.

ان موضوع شن الحرب النفسية عندما يكون نهجاً كافلاً بحد ذاته لتعميم نموذج التبرير الاستلابي لدى أجهزة إعلام عديدة، فهذا استنتاج على الرغم من الجهود الإعلامية الهائلة المبذولة، لكن لم يحسم شيئاً من حقيقة الصراع المعنوي القائم بين بعض الفصائل والجهات المتناوئة، وتؤدي حالة تماثل ما يقدمه العلم والتكنولوجيا من جديد متوال بهذا الصدد، دوراً حاسماً لإمكانية توسيع او ربما حسر رقعة أي حرب اعلامية، مع ان الحرب النفسية الاعلامية حين تتجاوز جغرافية المكان، وطبيعة البيئة المجتمعية، تبدو وكأنها مستهدفة تسخيف الطرف الآخر، المختلف معه في المنطلق الفكري او النهج السياسي، اذ من الملاحظ على سبيل التذكير، ان الاعلام العابر للحدود والقارات كـ(كلام المواقع الاخبارية ومواقع التواصل الاجتماعي على الانترنيت والبرامج الإذاعية، وصور

برامج التلفزة) غالباً ما يترجم التغرّب أو الابتعاد عن الحقيقة، وهذا ما أدى ويؤدي حتماً إلى إرهاق أذهان الجمهور المتلقي للمواد الاعلامية المتنوعة، وإلى اضعاف وتكرار العديد من برامج وسائل الاعلام ذات الصلة، مما افرز هنا وهناك حالة شبه فقدان للثقة بين المتلقين للإعلام والاجهزة الاعلامية المصدرة لهم نتاجاتها في معظم بلدان العالم، وحول ظاهرة التبرير الاعلامي المُدافع عن الخروقات الإنسانية، والمكمل للجرائم السياسية بحق ممن يحملون آراء اخرى فلعلّ هذا ما عكس مرض التغريب عن الاوطان، حتى لأُناس يعيشون داخل اوطانهم.[١]

والأعلام الاستلابي الفاقد لمصداقيته، بسبب ابتعاده عن سواه من الانواع الاعلامية الاخرى، اضحى ظلاً ملازماً لألاعيب اغلب السياسات المعاصرة، بكل ما تحمله من غش وأكاذيب ومغايرات ومشاكسات، لدرجة بات فيها الفصل بين اطروحات السياسة واطروحات الاعلام، ليس بالأمر الهيّن فمن يستطيع النكران مثلاً ان قادة السياسة، وكبار الاعلاميين الاستلابيين لم يصبحوا على قدر متساو من معرفة ما يحدث او ما سيحدث من وقائع كبرى عادة ما تكون مفاجئة عند الرأي العام، الذي ما زال يصطدم بأداء الاعلام المحلي المخالف للحق والحقيقة، وهذه الظاهرة المستسهلة لإعطاء نتاجات إعلامية، لا تمت بوشيجة الوقائع المطلوب توضيحها خدمة للعمل الإعلامي الصادق، فقد وضعت معظم وسائل الاعلام المُسيسة على وجه التشخيص في زاوية حرجة، افرزت فشلا معنوياً لخططها، وضعفاً فكرياً لحججها، وما أدياه من اضمحلال لنموذجها، المُقَدّم امام قوة الصمت المفروض على المجتمعات المتضررة، جرّاء استفحال الاعلام الاستلابي، والمصير المتدني الذي آل اليه الاعلام

(١) جبار محمود، مصدر سبق ذكره .

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

اللامسؤول في البلدان النامية والمتقدمة في آن واحد.

ومن هنا يبرز مصطلح التسميم السياسي عندما اصبح الاعلام جناحا للسياسة في بعض وسائله، اذ لم تشهد أي حقبة زمنية عبر التاريخ البشري، نشاطاً اعلامياً بكل هذه السعة والفاعلية المؤثرة، التي تنتشر بين أفراد المجتمعات اليوم، وذلك بسبب ما يلعبه عامل التطور التقني لوسائل الاعلام التي غزت كل بيت ومجتمع من دور مؤثر، فقد وعى الساسة الكبار في العالم بُعيد انتهاء الحرب الكونية الثانية الى الدور الخطير الذي يمكن ان يؤديه الاعلام، لصالح الكيانات السياسة لذلك فقد نجحوا في تجيير خلاصات العمل الإعلامي بهدف تمرير المخططات السياسية والتخريب الاجتماعي، عبر شن الحروب النفسية ضد مناوئيهم، واقرب مثال يستدل عليه بهذا المجال، ما سُمّى بـ(الحرب الباردة) بين الكتلتين الدوليتين الغربية والشرقية، أو بين بعض وسائل اعلام الدول العربية، ولعل من إحقاق القول أن المُلازمة بين الاعلام والسياسة، هو من اكثر الظواهر الملموسة لدى أي مجتمع، لدرجة غدت هناك استحالة للفصل بينهما في العديد من البرامج والمواد الاعلامية، اذ لا سياسة دون اعلام ومن فهم اشمل لهذه النقطة، فمن الموضوعية التريث في الأعراب عن القناعة، قبل إطلاق الحكم على كون الاعلام يمثل في خلاصته الفعلية، دعامة كبرى للسياسة، كما ويمكن وصف الاعلام في عالم اليوم بأنه جناح للسياسة.[1]

مدخل الى مفهوم التسميم الاعلامي السياسي

تزداد مخاطر تسميم الراي العام عندما يرافق الفراغ السياسي فراغا اعلامياً، انه فراغ طبيعي في الدول الديمقراطية يحدث ما بين دورتين انتخابيتين وما بين حكومتين، فمازالت ذكريات الارهاب

(١) جبار محمود، مصدر سبق ذكره .

والجريمة المنظمة تلقي بظلالها على الحياة اليومية، وعلى اثرها تنتشر التحليلات والشائعات الضارة وتصبح الشفافية مطلوبة والتطمينات الرسمية ضرورية.[١]

ويعبر مفهوم (التسمم السياسي) عن حملة شاملة تستخدم كل الأجهزة والأدوات المتاحة للتأثير في نفسيات وعقول وذاكرة الجماعة او الأمة او الشعب المحدد، وذلك بقصد تغيير او تدمير مواقف معينه واحلال مواقف اخرى محلها تؤدي الى سلوك يتفق مع مصالح واهداف الطرف الذي يقوم بعملية التسميم السياسي وغالبا ما تكون هذه العملية موجهه الى أمة او مجتمع او سلطة اخرى عادة ما تكون معاديه، وقد اطلق على هذا المفهوم العلمي مفاهيم اعلامية تتقارب معه في بعض الجزئيات دون ان تشمل جميع مقوماته وعملياته من قبيل (حرب الأعصاب) الدهاء) و(الحرب و(حرب النفسية)و(غسيل المخ)و(محو الذاكرة)و(صناعة النخبة الموالية) و(الطابور الخامس).[٢]

وقد استخدم العلماء الفرنسيون هذا المفهوم ولاسيما خبراء الحرب النفسية، وعمل عدد من الخبراء العرب على انجاز دراسات عن الحرب النفسية في المنطقة العربية وتحليل نجاحات الدعاية الاسرائيلية ومنطقها وحاولوا استخدامه في دراسة عن التطبيع مع اسرائيل واثاره على الهوية واتجاهات الرأي العام في مصر.

ويعد العالم الفرنسي فورد أول من كتب في التسميم السياسي عام **١٩٧١**، وعرف التسميم السياسي من لدن خبراء الحرب النفسية بأنه عملية غرس قيم دخيلة في منظومة القيم السائدة في المجتمع السياسي، ثم تضخيم تلك القيم العليا، ومن ثم محاولة اضعاف القيم

(١) حافظ آل بشارة، الفراغ الاعلامي ونمو الشائعات، وكالة انباء براثا، ١٨ – ٤ – ٢٠١٠.

(٢) ارشيف حوار الخيمة، التسمم السياسي، ٢٨ – ٢ – ٢٠٠٥.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

النبيلة والاصيلة المتعارف عليها وجعلها في درجة القيم الفرعية.[1]

ويتوجه (التسميم السياسي)الى عقل الانسان ونفسيته لا جسده محاولة للتأثير في ثوابتة ومنهج تفكيره، ويعد(التسميم السياسي) جزءاً لا يتجزأ من مفهوم الحرب الشاملة وقد تتم ممارسته قبلها وفي اثنائها وفي اعقابها، وغالبا لا يتم ادراك نجاحه او اخفاقه الا بعد سنوات ويقاس ذلك بمدى النجاح والإخفاق بحجم واتجاه (التغيير)الذي يحدثه في قطاعات النخبة السياسية والنخبة المفكرة والمثقفة في البداية ثم في جمهور الرأي العام المعين في بلد ما بعد ذلك، ويمكن القول بأن عملية (التسميم السياسي) تشمل:[2]

١ . التوجه في خطابها الفكري والسياسي الى العدو، وقد تتجه الى الاخر بمعناه العام وفق تحديدها له.

٢ . الاختلاف عن الدعاية بحيث انها لا تسعى الى الاقناع او الاقتناع بل تستهدف القضاء على الخصم بمعنى شل قدراته الفكرية والمعنوية.

اما غايات (التسميم السياسي) فيمكن تحديدها بالاتي:

١ . تحطيم ايمان الخصم بعقيدته السياسية والدينية او بعدالة ومشروعية القضية التي يدافع عنها.

٢ . تحطيم التماسك النفسي والإدراكي والعقلي للخصم السياسي او العقائدي و الديني وتمزيق مكونات شخصيته القومية والدينية.

٣ . استغلال النجاحات التي يصل اليها الطرف المهاجم والقائم بعملية التسميم السياسي لتكون وسيلة لأضعاف ثقة الطرف الآخر بنفسة وعقيدته.

اما جوهر عملية التسميم السياسي من هذا المنطلق فأنها يراد بها التأثير على العقول والأفئدة والتلاعب في عقول

(١) كمال عبيد، صور التسميم السياسي في العراق، شبكة النبأ المعلوماتية، السبت ٢٦ اذار ٢٠١٥ .
(٢) المصدر نفسه .

الافراد والامة معا، وهي تشمل عمليتين متوازيتين هما:

الأولى: زرع او غرس قيم معينة صحيحة في ذاتها ثم دفعها تدريجيا في السلم التصاعدي لنظام القيم الفردي او الجماعي بحيث ترتفع الى اعلاه ومن ثم تفرض على القيم المطلقة او العليا النزول الى مراتب اقل اهمية.

وعليه فأن جوهر عملية التسميم السياسي يكمن في التأثير على العقول والنفوس عن طريق التلاعب بعناصر التكوين المعنوي، الأمر الذي يمثل قمة التوجيه السياسي أو المعنوي للخصم .[١]

لقد أضحت السمة الأساسية للمجتمعات المعاصرة اهتمامها بظاهرة التعامل النفسي، وإلى الحد الذي ما عاد بإمكان أي دولة أن تستغني عن التعامل النفسي في تعاملها الداخلي والخارجي سواء أكان ذلك في تكتيل المجتمع السياسي وتحقيق التكامل الوطني والقومي أو في عدّ هذا التعامل أداة أساسية من أدوات تنفيذ السياسة الخارجية، وتعد الحرب النفسية من أبرز مفاهيم وأدوات ظاهرة التعامل النفسي، وإن كانت أداة مرتبطة بالقتال المسلح، إذ تعدله وترافقه، ولكنها لا تستقل عنه، فقد أضحت الآن في عالمنا المعاصر، بديلاً عن هذا القتال مع التقدم الرهيب في أدوات التعامل مع النفس البشرية، الذي قاد ليس إلا التلاعب بالنفسية الجماعية والشخصية القومية كما هو الحال مع الاختراق والتخريب الفكري والتضليل الإعلامي من خلال نماذج عديدة شهدها القرن العشرين.

وعليه يعد التسميم السياسي احد المفاهيم المحركة لعجلة الصراع الدعائي والحرب النفسية الحديثة، ويرتبط توظيفه بالقدرة للحصول على معلومات او وقائع ذات اهمية حساسة تتعلق بالخصم

(١) المنتدى العربي للدفاع والتسليح، مقاومة الحرب النفسية، الجزء الاول، ٢٦ نوفمبر ٢٠٠٩.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

السياسي ومن ثم التلاعب والتحكم بمواعيد اطلاقها لا لإحراجه واضعاف طروحاته او مواقفه حيال قضية محددة.[١]

ومن هنا ينطلق التسميم السياسي من أربعة مفاهيم أساسية هي: [٢]

١ . امكانية خلق التحلل في نظام القيم الجماعية بطريق غير مباشر

٢ . تطويع الإرادة القومية من الداخل من خلال التعامل النفسي المباشر

٣ . التدرج في عملية التوجه السياسي من مستوى زرع القيم إلى مستوى تضخيم القيم المزروعة .

٤ . جعل مفهوم تفتيت الوحدة الوطنية أساساً مطلقاً بوصفة مقدمة لتخطي الصراع العضوي في مواجهة الاستعمار التقليدي .

وفي سياق تعريف التسميم السياسي اصطلاحا برز تعريف التسميم السياسي في ورقة بحثية للباحث وليد عبد الحي قدمها في اليوم الثاني لأعمال المؤتمر

(١) احمد عبد المجيد، تمظهرات الحرب النفسية من الغزو الامريكي الى التمدد الداعشي في العراق وسوريا، ط١، دار امجد للنشر والتوزيع، المملكة الاردنية الهاشمية ٢٠١٨، ص٩٥ .

(٢) ينظر الى موقع افكاري، الحرب النفسية، https://hamze-hammade.wordpress.com/2012/08/15/. 15 - 8 - 2012،

السنوي لمراكز الدراسات السياسية والاستراتيجية الذي عقد بالدوحة متوافقا مع ما ذكر آنفا بانه محاولة نشر أفكارٍ أو قيمٍ معيّنةٍ في مجتمعٍ ورفعها إلى مستوى القيم العليا وذلك بطريقةٍ غير مباشرةٍ من خلال استقطاب نخبٍ فكريّةٍ وثقافيّةٍ مختارةٍ تتبنّي هذه الأفكار والقيم في المرحلة الأولى، لتقوم فيما بعد بترويجها بصورةٍ منظّمةٍ بين صفوف المجتمع من خلال وسائل الإعلام والثقافة والمناهج التعليميّة المختلفة.

والأخطر من كل هذا أن التسميم لا يمارسه العدو مباشرة وإنما يتم استعمال نخب فكرية وثقافية وفئات مختارة لتنقل لها في مرحلة أولى- الأفكار الدخيلة، ثم تترك هذه النخب والفئات في مرحلة ثانية- لتنقل تلك الأفكار إلى الجماهير من خلال أدوات الدعاية والإعلام المختلفة، حملة شاملة تستخدم كل الأجهزة والأدوات المتاحة للتأثير في نفسيات وعقول وذاكرة الجماعة أو الأمة أو الشعب المحدد; وذلك بقصد تغيير أو تدمير مواقف معينة، وإحلال مواقف أخرى محلها تؤدي إلى سلوك يتفق مع مصالح وأهداف الطرف أو الأطراف- الذي يقوم بعملية التسميم السياسي، الأمر الذي يمثل قمة التوجيه السياسي أو المعنوي.

وهذه العملية تقود إلى التصادم بين النوعين من القيم، سواء تم ذلك على المستوى الفردي أو على المستوى الجماعي، وهكذا يعد التسميم السياسي إحدى العمليات أو المقدمات المنطقية التي يعاد من خلالها تشكيل الإطار الذي ينطلق منه الرأي العام في مجتمع معين، بحيث يتم تشكيل ذلك الرأي العام إزاء القضايا التي تواجهه بشكل يتناسب مع القيم الجديدة الزاحفة والمضادة التي تم غرسها، أو تسريبها إلى عقله ووعيه الجماعي أو ذاكرة النخبة المثقفة والقائدة فيه.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

ونتذكر كل هذه المعاني التي حددها الدكتور ربيع في إطار عملية تسميم سياسي واسعة جرت عبر التاريخ الحديث، ويتضح ذلك من خطاب ومواقف وأفعال ارتبطت بمحاولات تشويه، ثم انتقلت للأسف على ألسنة نخبة أرادت أن تنشر هذه الأفكار في وسائل الإعلام وفي إطار مقولات أزالت الحدود بين الثائر وبين خصومه من الفلول وفي إطار يسوغ لمشاهد لا يمكن تصديقها تجمع بين الثائر والفلول، والقاتل والمقتول، مشهد يؤكد كيف تمرر هذه الأفعال بحيث تسوغ تحالفا من كثير من القوى لا نريد أن نحدد هذه المشاهد بشخوصها فهي معروفة لدى الجميع تحاول أن تمارس تبريرات غير مقبولة وغير معقولة، هذا كله إنما يشكل تماهي الحدود بين من يسمون بالثوار ومن يسمون بالفلول، في محاولة لتبرير اصطفاف وتمرير وجود المتناقضات ضمن هذا التحالف غير البريء، كذلك فإن هذا الخط الأحمر الذي يتعلق باستدعاء واستعداء العسكر إلى الحياة السياسية بل ومطالبتهم بالانقلاب على سلطة شرعية، وفي هذا الإطار فإن هذه المطالبات أيا كان مصدرها تعبر عن محاولة للهدم في إطار استدعاء للجيش للقيام بدور ليس من أدواره، واستدعاء في مقام غير مقامه، وفي إطار يحاول طمس تلك الصفحة الجديدة في كتاب العلاقات المدنية العسكرية والتي تشكل تعيينا للأدوار وإسنادا للوظائف بما يحقق مصالح الوطن وبما يؤسس لعلاقة سوية بين مؤسسات وسلطات الدولة والمجتمع، وضمن هذه السياقات فإن الخطابات والأفعال التي تتعلق باستدعاء الخارج في قضايا هي من صميم إدارة الداخل من مثل قضايا تتعلق بالتحول الديمقراطي والعلاقة بين السلطات فإن الأمر يكون شديد الخطورة من تهديد البعض بتدويل بعض القضايا اعتقادا منهم أن ممارسة الضغط من خلال الاستقواء بالخارج أمر من

الأمور التي يسمح بها في العمل السياسي، وهذا يعد من الخطوط الحمر التي يجب عدم تجاوزها في إطار العمل السياسي وتشكيل مسارات الحياة السياسية، ومن ثم تبدو كل هذه العمليات من إدراكات وخطابات وأقوال وأفعال إنما تعبر عن معاني التسميم السياسي الذي يحاول تحويل الخطوط الحمر كخطوط فاصلة فارقة إلى مسائل وقضايا تائهة مائعة، إن هذا التطور الذي أسهم في التشويه ليعبر عن عملية تسميم واسعة لا يمكن قبول مضامينها علاوة على مكنوناتها، لأنها لا يمكن أن تصب إلا في المصلحة المضادة والالتفاف حولها وتشويه وجهها ومحاولة القضاء على مكاسبها في إطار التمكين لعمل سياسي يقوم على قاعدة من الفرز كحالة فارقة وكاشفة، بين من هم من أهل القضية وبين من هم من خصومها، وضمن هذا يمكن أن نواجه عملية التسميم السياسي بزرع قيم أخطر ما تكون على المجتمع تسهم في هدم القيم الراسخة وقيم الميادين الفاعلة وقيم هذا الشعب الحافظة ومصالح هذا الوطن الواضحة.[١]

وعليه نجد في علم الاتصال السياسي ظاهرة مهمة تتمثل بالتسميم السياسي وتشير إلى محاولة زرع أفكار معينة أو قيم دخيلة من خلال الكذب والخديعة ثم العمل على تضخيم هذه القيم تدريجيا لتصبح قيم عليا في المجتمع المستهدف، وعملية التسميم السياسي، بهذا المعنى، مرحلة من مراحل المعركة مع الخصم أو مقدمة لمعركة قادمة، وهي تستهدف تبديل القيم أو التحلل من قيم معينة بشكل تدريجي وغير مباشر. والأخطر من كل هذا أن التسميم لا يمارسه العدو مباشرة وإنما يتم استعمال نخب فكرية وثقافية وفئات مختارة لتُنقل لها – في

(١) سيف الدين عبد الفتاح، الخطوط الحمر والتسميم السياسي، صحيفة الاهرام المصرية، الاحد ٢٦ مايو ٢٠١٣، العدد: ٤٦١٩٢ السنة ١٣٧ .

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

مرحلة أولى – الأفكار الدخيلة، ثم تُترك هذه النخب والفئات – في مرحلة ثانية – لتنقل تلك الأفكار إلى الجماهير من خلال أدوات الدعاية والإعلام المختلفة.

ويأتي الحديث عن التسميم السياسي كظاهرة مهمة في علم الاتصال السياسي من منطلق التواصل السياسي الذي يعيش وضعية إشكالية خاصة؛ فهو يبدو ككلمة السر التي ينضوي تحت لوائها باقي الكلمات؛ اذ ان كل مسؤول مطالب بأن يتواصل بهذا الشكل أو ذاك، فالتواصل السياسي يعبّر هنا عن طريقة الممارسة السياسية؛ إنه ينتزع لنفسه شرعية باعتباره (قيمة سياسية) في حد ذاته بالمقابل، نرى أن التواصل السياسي يتعرض لكل أشكال الطعن والمناهضة؛ إذ يكرّس عدم المساواة بين راكبي ناصيته، ويحول دون الدفع بالنقاش الديمقراطي؛ حيث مجال القضايا الجوهرية الكبرى، فالتواصل ملازم للسياسة إذن، والفعل السياسي لا يمكن أن يستقيم دون اتصال وتواصل، والديمقراطية تستوجب اتصالاً حرًا ومنفتحًا، حتى قيل: إن الديماغوجيا أفضل من غياب الاتصال، وعلى الرغم من أن الاتصال يشتغل وفق تصور محصور الأفق، عكس السياسة التي تراهن على المدى البعيد، فإنه يتقاطع معها في توجهها لإنتاج الواقع أو الفعل فيه، وهو ما يستوجب تحديد نطاق ذات الفعل، لاسيما في ظل ازدياد قوة دور وسائل الإعلام، وتزايد تأثير الأشكال المقابلة للسياسة أو المناهضة لها، ومن هنا تبدو أهمية مساءلة الجدلية القائمة بين حقل التواصل وحقل السياسة، من باب التكامل ومن زاوية التنافر الذي قد يطول دورهما.[1]

(١) يحي اليحياوي، في تجاذبات العلاقة بين الاعلام والاتصال والسياسة، مركز الجزيرة للدراسات، الاثنين ٢٣ يونيو ٢٠١٤ .

فلسفة الهيمنة المادية والثقافة الروحية في التسميم السيلسي

شخص احد الباحثين العزلة الروحية في ظل تصاعد ممارسة اساليب التسميم السياسي، ففي ظل الهيمنة المادية لعصرنا هذا، يغدو الحديث عن ضرورات التثقيف الروحي ضربا من الرخاء المذموم، فالثقافة الروحية لا تنتمي الى مطامح البشر وهم يتراكضون بأقصى ما يمكنهم لجمع أكبر كمية من المال، لأن هذا العصر كما يردد الإنسان الحالي هو عصر المال، ولا مجال للتأمّل والتوقّف للحظة، كي تعاين البشرية حاجاتها الروحية التي تشكل جناحا ثانياً مع الجناح المادي، لمواصلة رحلة الصمود والصعود البشري الى قمة المطامح بحسب خبراء النفس والعلم السياسي ومما يزيد الطين بلّة أن الفقر الروحي لم يكتفِ بترك ساحة التفاعل والسعي لموازنة المادي، وإنما بدأ الأمر يتغلغل في عالم السياسة الثقافية وسواها، والهدف يتم في ضوء مفهوم التسميم السياسي، والذي يرى فيه علماء مختصون أنه ينمّ عن حملة شاملة تستخدم كل الأجهزة والأدوات المتاحة للتأثير في نفسيات وعقول وذاكرة الجماعة أو الأمة أو الشعب المحدد؛ وذلك بقصد تغيير أو تدمير مواقف معينة، وإحلال مواقف أخرى محلها تؤدي إلى سلوك يتفق مع مصالح وأهداف الطرف الذي يقوم بعملية التسميم السياسي، وغالبًا ما تكون هذه العملية موجهة إلى أمة أو مجتمع أو سلطة أخرى عادة ما تكون معادية، بحسب ما أورده د.حامد عبد الماجد وهو يضع ديباجة أكثر وضوحا لهذا المفهوم المستجد ، وإذا كان الشره المادي يهيمن على حواس الإنسان، ويمسك بتلابيبه، ولا يسمح له برؤية الوجه الآخر للحياة، فإن التسميم السياسي يتعقَّب عقلية الإنسان ونفسيته وليس جسده في محاولة للتأثير بثوابته ومنهج تفكيره، ويمثل التسميم السياسي

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

جزء لا يتجزأ من مفهوم الحرب الشاملة، وقد تتم ممارسته قبلها، وفي أثنائها، وفي أعقابها، وغالبًا لا يتم إدراك مدى نجاحه أو إخفاقه إلا بعد سنوات، وعلى العموم يدخل الغزو الثقافي او الفكري في هذا المضمار، ليبقى المطلوب تحجيم الحضور الروحي، حتى تبقى سطوة المادة ذات فاعلية تقصي الثقافة الروحي وتضرب عليها طوقا من العزلة تحد من وجودها كعامل موازن لحركة البشرية وتطورها، وعليه فإن عزل الثقافة الروحية، يمكن أن يتم بوسائل أخرى، بيد أن التسميم السياسي يسرّع من بلوغ المسعى، على أن ينهض هذا (السمّ الفكري الثقافي)، على مقومات ذات طبيعة ثقافية سياسية مزدوجة، اذ تشمل تلك المقومات الهادفة لتحريك وإدامة عملية التسميم السياسي بضعة خطوات بحسب الكاتب نفسه، منها أن التوجه في الخطاب الفكري يسعى الى شل القاعدة الفكرية للآخر، فالدعاية هنا لا تسعى إلى الإقناع أو الاقتناع، بل تستهدف القضاء على الخصم وشلِّ قدراته الفكرية والمعنوية.[1]

وفي الرؤية المتفحصة تلوح مساعي التسميم السياسي فتمضي الى تحطيم إيمان الخصم بعقيدته السياسية أو الدينية، أو بعدالة ومشروعية القضية التي يدافع عنها. مع العمل على تحطيم التماسك النفسي والإدراكي والعقلي للخصم، وتمزيق مكونات شخصيته القومية والدينية، وكذلك استغلال النجاحات التي يصل إليها الطرف المهاجم والقائم بعملية التسميم السياسي كوسيلة لإضعاف ثقة الطرف الآخر بنفسه وعقيدته، وتلوح أسئلة مهمة لابد من الاجابة عنها، وليس هناك مفر من إشباعها والإجابة عنها بتأن، ومن هذه الأسئلة، هل صحيح ان إنسان العصر الحاضر لا يحتاج الى الثقافة الروحية؟، وهل عليه أن ينغمر بصورة

(١) عبد الرزاق عبد الحسين، التسميم السياسي وعزلة الثقافة الروحية، شبكة النبأ المعلوماتية، السبت ٢٣ نيسان ٢٠١٧ .

كليّة في المادة، لدرجة يهمل معها أي نسبة من الانشغال بالثقافة الروحية؟، ثم ألا يعني ذلك محاصرة وعبث متعمَّد بثقافة الروح، وتدمير أركان الإيمان الذي يحتاجه البشر حتى في تدبير شؤونهم المادية وتطوير حياتهم المدنية؟، فالتطور المدني بحسب مختصين لا يستقيم له وجود بعيدا عن ثقافة الروح ثمَّ نماذج في مرمى البصيرة، وضعت انشغالها الأكبر بالمادة، وتطوير العمران، وتلميع الشكل، والبهرجة والأضواء البراقة، لكن حين البحث عن الروح نجدها مقصيّة، ملغاة، معزولة، مع الإشعار بأنها غير مرغوب بها ولا حاجة للتطور المادي بها، ذاك هو الجهل بعينه، تماما مثل صاحب العقل المغرم بملمح القشور، غير مدرك لما في الأجواف والصدور، يبقى شغوفا بلمعة كاذبة، وطلاء لا يكشف عن العمق، وما أجهل الإنسان حين يكون خارجه ملمَّعا وداخله مظلما، هو ذا حال العمران المادي الخالي من الروح والعمق، وهو نفسه حال الإنسان الذي يلبس أثمن البدلات والقمصان وأربطة العنق، لكنه يُصاب بالخرس أمام سؤال يجيب عنه طفل مثقف ثقافة روحية تضاهي ثقافته المادية، فمثل هذه النماذج تعج بها مدن الثراء المادي، تلك التي تقصي ثقافة الروح، وتناصبها العداء، اذ يذهب أصحابها الى تجميد الروح بأساليب مبتكرة، في وقت يثور الاهتمام بالسطحية المتضخمة، فلا فكر، ولا ثراء معرفي، حتى الثقافة المادية عرجاء لا تستطيع ان تصمد حيال اشتراطات العصر، تحت استهداف عولمي يمور ليل نهار عبر التسميم السياسي، لعزل الروحي المعنوي، والإفصاح عن رغائب مشوهة، ذات غائية لا أدلة على نقائها، مع استخدام مادي مريض لآليات العصر، حتى تبقى الثقافة الروحية في أجواء الاعتكاف، فتسود القشور وتضمحل أصالة الحضور.[١]

(١) عبد الرزاق عبد الحسين، التسميم السياسي وعزلة الثقافة الروحية، شبكة النبأ

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

أشكال التسميم السياسي

إن التسميم في حدود تأثيره في الجسد السياسي المستهدف يتخذ صورة أو أكثر من الصور والأشكال الاتية:[١]

١- التطبيع: بمعنى إيهام الطرف الآخر بالتحول من حالة العداوة التقليدية والصراع المصيري إلى حالة التعايش الطبيعي بانتزاع إرادة المقاومة من العقول التي تؤدي بالنتيجة إلى انتزاع الأسلحة من الأيادي والاستسلام لحالة الاسترخاء وقبول الأمور الواقع .

٢- التطويع: وهو تسيير الإرادة من طريقها الطبيعي والأصيل إلى طريق آخر إذ يروضها القائم بعملية التسميم وغالباً ما يحاصر في إطار هذه الصورة القيادات الفكرية والنخب المثقفة .

٣- الاغتراب: أي جعل الفرد مغترباً عن مجتمعه والثقافة التي يعيشها ودفعه إلى اتخاذ موقف غير ودي منها وتبعاً لذلك فالتسميم لهذه الصورة يعمل على خلق حالة من الصراع بين الذات الفردية ومحيطها الاجتماعي والثقافي.

٤- التفجير: وهو صورة من صور فك الأواصر بين عناصر الجسد السياسي وبعثرتها بحيث يغدو كل عنصر عاجزاً عن أداء وظائفه الطبيعية بشكل كامل وإزاء هذا النقص يبدو القائم بالتسمم بصورة المحسن الذي لا يبخل بتقديم خدماته للجسد المريض بجرعات محسو بة.

٥- الاحتواء: إذ يأخذ الجسد السياسي بعد أن تقطع أوصاله صورة التبعية الشاملة للأجنبي أي باستيعابه كليا.

غايات (التسميم السياسي)

يمكن تحديد الغايات التي من خلالها تتحقق عملية التسميم الاعلامي السياسي بالاتي: [٢]

١- تحطيم ايمان الخصم بعقيدته السياسية

المعلوماتية، السبت ٢٣ نيسان ٢٠١٧ .

(١) موقع افكاري، مصدر سبق ذكره .

(٢) ارشيف حوار الخيمة، التسميم السياسي، ٢٨ - ٥ - ٢٠٠٥

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

والدينية او بعدالة ومشروعية القضية التي يدافع عنها.

٢- تحطيم التماسك النفسي والإدراكي والعقلي للخصم السياسي او العقائدي و الديني وتمزيق مكونات شخصيته القومية والدينية.

٣- استغلال النجاحات التي يصل اليها الطرف المهاجم والقائم بعملية التسميم السياسي لتكون وسيلة لأضعاف ثقة الطرف الآخر بنفسة وعقيدته. ومن هذا المنطلق فأن جوهر عملية التسميم السياسي يراد بها التأثير على العقول والأفئدة والتلاعب في عقول الافراد والامة معا وهي تشمل عمليتين متوازيتين هما:(١)

الأولى: زرع او غرس قيم معينة صحيحة في ذاتها ثم دفعها تدريجيا في السلم التصاعدي لنظام القيم الفردي او الجماعي بحيث ترتفع الى اعلاه ومن ثم تفرض على القيم المطلقة او العليا النزول الى مراتب اقل اهمية.

ولتوضيح ذلك نضرب مثلا فلنكن امام ثوابت مجتمع ازاء قضيه محددة ولتكن قضية مجتمع احتلت ارضة ومن ثم فأن مطلبه العادل هو تحرير ارضة وهو يستند في ذلك الى ثوابت مطلقة وثابتة وشرعية تتأسس على مبادئ العدل وحق مقاومة الاحتلال وقدسية الارض.....الخ وهو منطق ثابت لا يقبل المساومة أو التنازل. تبدأ عملية(التسميم السياسي)عبر زرع قيم جديدة لدى طبقات في المجتمع المحكوم الطبقة المثقفة والنخبة السياسية..الخ، تدور حول ،الاعتراف بالآخر، وقبول التعايش معه في ضل منطق العصر، وضراوة ما يترتب على الحروب من مآسي وانها ليست حلا لأي مشكلة، ومزايا السلام والتنمية...الخ ،هذه القيم الجديدة في حد ذاتها ليست شيئا سيئا بل تعد امرا مرغوبا فيه وتمثل في مدة معينة تطلعات المجتمع والانسان

(١) ارشيف حوار الخيمة، التسميم السياسي، ٢٨ - ٥ - ٢٠٠٥

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

المعاصر ولك المشكلة فيما سيأتي بعد في مرحلة تالية تتم عملية تضخيم لهذه القيم وتصعيد تدريجي لها بوعي وعبر وسائل الاعلام والاتصال والتعليم والتنشئة بوجه خاص وهكذا تتصاعد هذه القيم الجديدة شيئا فشيئا الى اعلى قمة السلم الهرمي للقيم، وعندئذ تحدث عملية احلال شعورية ولاشعورية فبهذه القيم الجديدة تحل محل القيم والثوابت القديمة كمحدد للمواقف وأطار حاكم ومحوري للسياسات والممارسات المختلفة، وتقود هذه العملية الى التصادم بين النوعين من القيم، سواء تم ذلك على المستوي الفردي او الجماعي.

الثانية: عبر منطق الدعاية والتوجيه السياسي يتم تسريب افكار وقيم معينة بحيث تؤدي الى تصور معين للمواقف يختلف عن حقيقته الفعلية مما يترتب عليه عند اكتشاف هذه الحقيقة نوع من الصدمة تؤدي الي شلل نفسي ومن ثم عدم القدرة على المواجهة لما تسببه من تمزيق في الشخصية.

هذه العملية قد تكون مقدمة لمعركة فعلية تأتي بعدها عملية الهجوم القتالي ليتحقق الانتصار بأقل التكلفة كما قد تكون لاحقة بحيث تكمل الانتصار بالقضاء المطلق على الخصم او العدو كوجود ذاتي ذي هوية حقيقية متميزة تجهد في سبيل التمسك ببقائها الحضاري وليس مجرد الوجود الجسدي والعضوي .

صور التسميم السياسي

حدد احد الباحثين صور التسميم السياسي بالاتي: [1]

١- خزن معلومة مهمة كان قد اطلقها الخصم بشأن موقف معين والاحتفاظ بها لحين حصول التوقيت المناسب والمحرج للخصم واطلاقها بشكل يضعف موقفه وينقله من حالة الهجوم القوي الى حالة الدفاع الضعيف، ومن الامثلة على ذلك اطلاق معلومات خطيرة ومتناقضة قبيل

(١) احمد عبد المجيد، تمظهرات الحرب النفسية، مصدر سابق، ص٩٦ .

موعد انتخابات بما يربك المرشح ويجعله غير قادر على الدفاع عن نفسه اما لضيق الوقت المتاح امامه او لعدم امتلاك المنطق الدعائي الخاص، وخلال ذلك تكون المعلومة قد سرت وفعلت فعلها المؤثر لدى المتلقين .

٢- جمع وتخزين معلومات مجتزأ عن سياقها الدعائي او الاعلامي طرحت خلال مراحل سابقة ومن ثم اطلاقها دفعة واحدة بشكل يبرز تناقض الخصم مع نفسه لتشتيت ذهنية المتلقي وتبيان ضعف المنطق الدعائي للخصم وتناقضه غير المسوغ وغير المنظم، وفي مثل هذه الحالة يكون دفاع الخصم عن نفسه صعبا لا سيما اذا كان الجمهور المستهدف لا يمتلك الوعي السياسي والثقافة العالية اللازمة للتحليل والفهم والادراك .

التسميم الاعلامي

اصبح الإعلام أحد أهم الأدوات الميسورة للحرب النفسية من حيث الاستخدام المنظم لوسائله ومواده للتأثير على قناعات الطرف المستهدف، دون تجاوز استخدامات القوة العسكرية والإمكانيات الاقتصادية والتحركات السياسية وغيرها، لكن الإعلام من ناحية أخرى يتميز عن كل تلك الأدوات كونه القاسم المشترك لها جميعا والناقل الأساس لأهدافها وتوجهاتها في التأثير على الطرف المستهدف لأنه :[١]

١.هو الذي ينقل أخبار العسكر وتفاصيل الحروب بصيغ تزيد المعنويات أو تضعفها.

٢. وهو الذي يقلل من قيمة انتصار عسكري حصل بالفعل، أو يزيد من وقع خسارة لم تكن كبيرة في الواقع بغية تكوين حالة إحباط مؤلمة.

(١) سعد العبيدي، مصدر سبق ذكره .

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

٣. وهو الذي يهول أيضا من أثر الحصار الاقتصادي على بلد ما بهدف سحبه لتنفيذ أهداف محددة.

٤. وهو الذي يضخم كذلك من القدرة الدبلوماسية لدولة معينة لإجبار الآخرين على السير مع توجهاتها المرسومة.

وإذا ما أضفنا إلى ذلك كله مهامه وطريقته في نقل الأفكار والأخبار والمعلومات، وحاجة الجمهور إليه في المتابعة والترويج وإشباع الحاجات، وكذلك قدرته وشموليته في التأثير، يكون الإعلام في هذه الحالة الأداة الأكثر فاعلية من بين أدوات ووسائل الحرب النفسية المتاحة في وقتنا الراهن لا سيما مع تطور تقنيات التوصيل وسبل التأثير في نظام كوني شامل (النظام العالمي الجديد).

ومن هنا يبرز مفهوم الحرب الاعلامية النفسية ومصطلح التسميم الاعلامي، فعلى الرغم من أن مصطلح الحرب الإعلامية لم يظهر إلا في النصف الثاني من القرن العشرين، إلا أن أساليب الحرب الإعلامية قديمة قدم الزمن، فمثلاً نجد في النصوص المقدسة القديمة أمثلة على ذلك، إذ تأتي التوراة على قصة الملك جدعون الذي لجأ إلى مختلف حيل التضليل لينتصر على غريمه الأكثر عددًا (جيش المديانيين)، إذ استطاع من خلال نشر الأخبار الكاذبة إحداث انشقاق في صفوف العدو، كما جاء في كتب التاريخ أن الحيثيين استطاعوا خداع الجيش المصري من خلال التضليل ونشر الشائعات، إذ أرسلوا اثنين من البدو بقصص كاذبة حول جيش الأعداء وحلفائه، مدَّعين أنهم لا يزالون بعيدين جدًا قرب حلب في شمال الشام، ما اُضطر الفرعون رمسيس الثاني إلى التخلي عن مواصلة اقتحام قادش والعودة إلى مصر، وفي واقع الأمر كان العدو مختبئًا على الجانب الآخر من النهر؛ ليس بعيدًا من

معسكر الملك.[١]

لقد جرى تطوير التقنيات الإعلامية خطوة بخطوة، فقبل ظهور الآت الطباعة كانت الحرب الإعلامية تُشن بمساعدة المضللين والمندسين ومروجي الإشاعات؛ أي باستخدام العنصر البشري أساسًا، وقد حدثت أول ثورة في الحرب الإعلامية في القرن الـ١٥، بعد اختراع آلة الطباعة على يد يوهان جوتنبرج، حينها ظهر ما سُمي بـ (المنشورات الطائرة)، التي أضحت فيما بعد سلاحًا إعلاميًا في نزاعات أوروبا ال دينية.

اما التسميم الاعلامي فالحديث عنه يجب ان يسبقه الحديث عن صياغة مصطلح التسميم السياسي، فقبل أكثر من ٤٠ سنة، صاغ الاستاذ الراحل الدكتور (حامد ربيع) مصطلح (التسميم السياسي)، وقصد به بشكل أساسي قيام عدو خارجي بإفقادنا ثقتنا بذاتنا عبر التلاعب بالعقول بوسائل متنوعة تحكمها (اللا أخلاق)، وهذا المعنى لا نقصده هنا، إنما نقصد ما نسميه (التسميم الإعلامي) الذي تمارسه أغلب وسائل الإعلام منذ أكثر من نصف قرن، حتى انحطت بالوعي الجماعي إلى مستوى بالغ التدني والتشوه والسطحية، ففي علم الاتصال السياسي هناك ظاهرة مهمة كتب عنها العالم الراحل حامد ربيع وغيره من علماء السياسة، هي التسميم السياسي التي تشير إلى محاولة زرع أفكار معينة أو قيم دخيلة من خلال الكذب والخديعة ثم العمل على تضخيم هذه القيم تدريجيا لتصبح قيم عليا في المجتمع المستهدف، وبذلك فأن عملية التسميم السياسي، بهذا المعنى، مرحلة من مراحل المعركة مع الخصم أو مقدمة لمعركة قادمة، وهي تستهدف تبديل القيم أو التحلل من قيم معينة

(١) ينظر الى: فريق التحرير، الهجوم على عقل العدو ... عن الحرب الاعلامية في العصور، نون بوست، ٢٥ - ٩ - ٢٠١٩، https://www.noonpost.com/content/26629 .

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

بشكل تدريجي وغير مباشر، والأخطر من كل هذا أن التسميم لا يمارسه العدو مباشرة وإنما يتم استعمال نخب فكرية وثقافية وفئات مختارة لتُنقل لها - في مرحلة أولى - الأفكار الدخيلة، ثم تُترك هذه النخب والفئات - في مرحلة ثانية - لتنقل تلك الأفكار إلى الجماهير من خلال أدوات الدعاية والإعلام المختلفة.(١)

فالتسميم الإعلامي هو الانقلاب الوظيفي في أداء وسائل الإعلام الحديثة التي توظف منجزات ثورة المعلومات وتكنولوجيا الاتصالات فائقة السرعة وواسعة الانتشار، لتحقيق أهداف مضادة على طول الخط لقيم الحداثة والتنوير التي ولدت من رحمها، إذ تعمل هذه الوسائل بدلًا من ذلك في خدمة سلطات الاستبداد السياسي لقهر قوى التحرر، وتشد من أزر الظلم الاجتماعي لينتشر الفقر، وتزدري الذات الحضارية لتتعزز الهيمنة الأجنبية، والتسميم الإعلامي يقصف الوجدان، ويدغدغ العواطف، ويشتت الانتباه الفردي والجمعي كي يتمكن من تقديم الأكاذيب في صورة حقائق، ويعمي الحقائق ويطمسها، ويصور الفشل على أنه قمة النجاح، والنجاح على أنه الإخفاق بعينه، والصديق في صورة العدو، والعدو في صورة الأخ والصديق الحميم، فالقائمون بالتسميم الإعلامي يطلبون منك أن تسلم وجدانك لهم، وأن تلغي عقلك تمامًا، وأن تبرد إحساسك إلى حد التجمد، وأن ترهف السمع إلى ما يقولون، وألا تحدق كثيرًا بعينيك في وجوههم كي لا تكتشف شيئًا مما وراءها من ألاعيب الخداع، وأساليب التلاعب بالعقول، تراهم يرفعون أصواتهم، وكثير منهم (يردحون) في وجوه مشاهديهم، ويسبون، أو يكيل الاتهامات للآخرين بلا عناء؛ معتمدين على أن مشاهديهم

(١) عبد الفتاح ماضي، التسميم السياسي للمصريين والعرب، موقع د. عبد الفتاح ماضي، تاريخ الدخول للموقع ٢٩ - ٧ - ٢٠١٩.

أو أغلبيتهم قد تهيئوا فقط للاستماع، ولا فرصة لديهم للتساؤل: أصحيح هذا الذي أستمع إليه أم خطأ؟ أواقع هو أم محض خيال؟ هل يدعمه دليل أم هو محض أباطيل؟[١]

فالتسميم الإعلامي في حالات الحرب مع العدو الخارجي مختلف عنه في حالات التنافس مع خصم سياسي داخلي، ففي حالة الحرب يكون التسميم الإعلامي واردًا من الخارج من جهة العدو، ويكون جزءًا من (التسميم السياسي) الذي أشرنا إليه وعرفنا أنه يستهدف هز الثقة بالذات التي تقاوم العدو، وإفقادها القدرة على التركيز، وتشتيت قواها في مسائل فرعية وقضايا جزئية بعيدة عن المعركة الرئيسية مع هذا العدو، اما في حالة الحرب؛ يكون التسميم الإعلامي جزءًا من (التسميم السياسي)، وأداة من أدواته، فكل طرف من أطراف الحرب يوظف ما لديه من أسلحة لإلحاق الهزيمة، بغريمه بغض النظر عن الأخلاق والقيم على الطريقة المكيا فيللية، فالتسميم الإعلامي في حالة الحرب يكون خطره مقدورًا عليه، لاسيما إذا نهضت سلطات الدولة المستهدفة إلى اتخاذ الإجراءات الكفيلة بصون الرأي العام في بلدها من خطر هذا التسميم واسع المدى، والحد من فعالية وسائل إعلام العدو في أداء مهمتها وإفشالها إن استطاعت، أما في حالة السلم والتنافس الداخلي بين قوى المجتمع وتياراته السياسية، فالأصل فيها هو ألا يستخدم أي طرف الأدوات الإعلامية في تسميم الوعي للنيل من المنافسين لتحقيق مكسب سياسي ما، وألا يسعى أي طرف أيضًا للتسميم السياسي من باب أولى؛ لأن المعركة تنافسية في خدمة الوطن، وليست في مواجهة أعداء خارجيين، لكن الواقع يشهد خلاف ذلك؛ إذ تجري عمليات التسميم على مدار الساعة، وهنا

(١) ابراهيم، البيومي غانم، التسميم الاعلامي للوعي الجمعي، اضاءات، ١٤ - ٥ - ٢٠١٨.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

نكون أمام كارثة بكل المقاييس؛ إذ يفقد الوعي الجمعي القدرة على تمييز الصواب من الخطأ، والنافع من الضار، ويستشري داء (التناكر) لا التآلف، وتتبارى شراء وسائل الاتصال الجماهيري، وتبني لها أذرعًا قوية فيها، ويستجيب لها ذوو الأنفس الضعيفة، والعقول الشائهة المريضة، والأيدي الممتدة بالسؤال، والألسن المستطيلة بالإساءة، أو تقوم تلك الأجهزة بالسيطرة على تلك الوسائل الإعلامية وإرهابها والتحكم في اختياراتها على أقل تقدير.[1]

ان أدوات التسميم الإعلامي الداخلية ناقلة ومنتجة للسموم التي تفتك بأبناء وطنها. هي ناقلة لسموم العدو الخارجي مع تخصيصها وحصرها فقط على الخصم الداخلي الذي تستهدفه تلك الوسائل، وهي منتجة لسموم محلية من مواد الكذب والاختلاق وقلب الحقائق وتزييف وقائع التاريخ، وفي هذه الحالة فإن المواطن المستهلِك لإعلام تسميمي من هذا الطراز، والمستهلَك بسبب إعلام مسمم كهذا، لا يجد ذاته إلا ممزقة، ولا عقله إلا عاجزًا عن التفكير، ولا روحه إلا معذبة في كل حين، لا يكاد يقر له قرار، ولا يشعر بلحظة من الهناء ساعة من ليل أو نهار.

فهناك فئات اجتماعية متميزة، وشخصيات من مستويات اقتصادية ذات وضعية جيدة جدًا، وليست لديها مشاكل حياتية أبدًا، ولكنها من فرط وقوعها تحت القصف الإعلامي المسمم تشعر أن حياتها جحيم، وأن يومها أسوأ من أمسها، وأن غدها أفظع من يومها، ويطاردها شعور مرعب يقول لها: إن سكوتها على الظلم الفاحش سوف يسلمها لأيادي (داعش) عاجلاً أو آجلاً، على الرغم من أن ظاهر الحال يقول لها: اطمئني .

(١) المصدر السابق نفسه .

فالتسميم الإعلامي وقت السلم إذا مارسه طرف ضد طرف منافس له هو خطيئة وطنية، وجريمة سياسية، ذلك لأن هذا التسميم يجد أرضًا خصبة في مناخ الاستقطاب، ويستفحل في مناخ الاستئصال وتفاقم مشاعر السخرية من فريق تجاه فريق آخر، ونقول مشاعر السخرية، لا الكراهية على الرغم من أنهما شعوران مرذولان، إلا أن شعور (السخرية) والاستهزاء عندما يسيطر على مجمل علاقات أبناء مجتمع ما مع بعضهم البعض، فهو علامة على وصول التناحر إلى حبل الوريد، ودليل على أن اقتراب ساعة استيقاظ (وحش الغابة) المختبئ في كل نفس بشرية وإطلاقه بات وشيكًا؛ حتى ولو كانت هذه النفس قد هذبتها الحضارة وشذبتها التربية المدنية والدينية.

هذا بخلاف الشعور بالكراهية الذي على الرغم من سلبيته وبشاعته يولد التحدي، ويشحذ الهمم، ويشعر كل طرف بوجوده وأهميته بالنسبة للطرف المقابل له، بل أهميته في الحياة عمومًا؛ الأمر الذي يدفعه للبحث عن فضائله ومكامن قوته وما يجلب به عطف الآخرين وحبهم له، أما الشعور بالسخرية فهو شعور استئصالي، وفعل عدمي يستهدف الخصم في أصل وجوده، ويرسخ لديه إحساسًا قاتلاً بأنه لا شيء ولا لزوم لوجوده، لهذا اخترع أحد الخبثاء في الزمن الماضي عقوبة (التجريس) لبعض المذنبين؛ وعليه فأن تشغيل أدوات التسميم الإعلامي على النحو الذي نراه أمر لا يقره شرع ولا قانون، ولا يقبله ذو حسن أو ذوق سليم، وهو محض تقليد أعمى لما يحدث، وهو عمل لا يتم إلا بأيدٍ خبيثة تساعد في التحطيم المعنوي فعندما يصل إلى هذه الحالة يكون التسميم الإعلامي هو أشد أسلحة الصراع فتكًا بالوجدان العام، وباللحمة الوطنية، وبالوعي الجمعي.

واشار الباحث الدكتور هاشم حسن الى الدور الكبير للتلفزيون باعتباره اداة سياسية خطيرة، للتثقيف والتعليم ونشر

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

الذوق العام وغير ذلك، موضحا ان جميع تلك الاهداف ترتبط بسياسة القنوات الفضائية، وافاد ان الكثير من الفضائيات شوّهت ما اسماها بالأهداف النبيلة للتلفزيون ليصبح اداة للتسميم السياسي، وبث ثقافة العنف والفتنة الطائفية، او استغلاله لبث برامج ترفيهية سطحية لا ترتقي بالمشاهد.

وتكمن خطورة التسميم السياسي في ما يمتلكه هذا الاسلوب للحرب النفسية من مقومات، تستخدم في توجيه الخطاب الاعلامي نحو الخصم لهز قيمه وثوابته وأصوله والركائز الفكرية والمعنوية والاخلاقية والتربوية التي يعتمد عليها، كما يؤدي التسميم السياسي وظيفة نفسية مدمرة تنخر افراد المجتمع، وتجعل الشخص مغتربا عن بيئته ومجتمعه وثقافته، وتدفعه لاتخاذ الموقف السلبي من كل شيء يحيط به، مما يؤدي الى خلق حالة من الصراع بينه وبين محيطه الاجتماعي والثقافي، وهذا يؤدي الى ضعف في ثقافة المواطنة والمسؤولية الوطنية تجاه البلد وقد يؤدي الى تفكيك النسيج الاجتماعي، وذلك بفك أواصر وعناصر الكيان الوطني وبعثرتها بحيث يغدو كل عنصر منها عاجزا عن اداء وظائفه الطبيعية بشكل كامل، وبذلك يكون القائم بالتسميم السياسي وكأنه المنقذ والمخلص الذي لا يبخل بتقديم معوناته وخدماته للجسد المريض بجرعات محسوبة،[1]، وهنا يجب التمييز بين الاعلام والثقافة ومدى تأثير التسميم الاعلامي والتسميم الثقافي على المجتمع وكيفية فك التداخل بينهما، فقد تطور الإعلام عبر حقب متعاقبة، اذ بدأ فقيرا في أدواته وتأثيره، ليصبح اليوم من الأدوات الأكثر أهمية في اعتماد الدول والحكومات عليها، فالإعلام هو مصطلح يطلق على أي وسيلة أو تقنية أو منظمة أو مؤسسة

(١) كمال عبيد، صور التسميم السياسي في العراق، شبكة النبأ المعلوماتية ،السبت ٢٦ اذار ٢٠١٥ .

تجارية أو أخرى غير ربحية، عامة أو خاصة، رسمية أو غير رسمية، مهمتها نشر الأخبار ونقل المعلومات، إلا أن الإعلام يتناول مهاما متنوعة أخرى، تعدَّت موضوع نشر الأخبار إلى موضوع الترفيه والتسلية لاسيما بعد الثورة التلفزيونية وانتشارها الواسع، وتطلق على التكنولوجيا التي تقوم بمهمة الإعلام والمؤسسات التي تديرها اسم وسائل الإعلام، كما يُطلق على الأخيرة تعبير السلطة الرابعة للإشارة إلى تأثيرها العميق والواسع في توجيه الرأي العام والقضايا السياسية والثقافية والاجتماعية، ولعلنا نجد في مصطلح الإعلام معانٍ أكثر دقة كما نلاحظ في التعريف الواضح له، فهو وسيلة لنقل المعلومة، وطريقة لترويج الفكر، او بث أهداف معينة في محيط محدد، لذا ثمة فارق جوهري يفصل بين الثقافة والإعلام، لسبب جوهري أيضا، كون الثقافة تتحكم بطبيعة حياة الإنسان، فردا كان او جماعة، وتطبعها بالتطور او التخلف، بمعنى أن حياة الإنسان ترتبط من حيث التقدم والتراجع، بجوهر الثقافة السائدة في المجتمع، أما الإعلام فهو وسيلة لا يمكنها التحكم بأعراف وقيم وأخلاقيات المجتمع، لأنه وسيلة توصيل لا أكثر، لذلك تبقى الثقافة متقدمة على الإعلام في صنع المجتمع المتطور، أما بخصوص وظيفة الإعلام فهي تؤول في الدول الديمقراطية إلى إعلام الجمهور وتكوين الرأي العام إلى الصحافة بصفة رئيسية، وهي من خلال عملها تقوم أيضا بالنشاط النقدي والرقابة العامة منها نشر الأخبار وإعطاء وتوظيف المعلومات التي يجهلها المتلقي، تلك الوظائف تختلف في مدى حيادها ومصداقيتها بحيث تنفع الجمهور، أما الثقافة فهي سلوك اجتماعي ومعيار موجود في المجتمعات البشرية، اذ تعد الثقافة مفهوما مركزيا في الانثروبولوجيا، يشمل نطاق الظواهر التي تنتقل من خلال التعلم الاجتماعي في المجتمعات

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

البشرية، بعض جوانب السلوك الإنساني، والممارسات الاجتماعية مثل الثقافة، والأشكال التعبيرية مثل الفن، الموسيقى، الرقص، الطقوس، والتقنيات مثل استخدام الأدوات، الطبخ، المأوى، والملابس هي بمثابة كليات ثقافية، توجد في جميع المجتمعات البشرية.(١)

ويغطي مفهوم الثقافة المادية التعبيرات المادية للثقافة، مثل التكنولوجيا، والهندسة المعمارية والفن، في حين أن الجوانب غير المادية للثقافة مثل مبادئ التنظيم الاجتماعي، الأساطير، الفلسفة، الأدب والعلم يتكون من التراث الثقافي غير المادي للمجتمع .

وتذكر لنا صفحات التاريخ الثقافي في العلوم الإنسانية أن الشعور الذي كان سائدا حول الثقافة بصفتها سمة للفرد، هو الدرجة التي يزرعون بها مستوى معين من التطور في الفنون أو العلوم أو التعليم أو الأخلاق بين أفراد المجتمع الواحد، كما ينظر أحيانا إلى مستوى التطور الثقافي كمعيار أساس يقاس في ضوءه درجة ومستوى تحضّر الفرد والمجتمع، فثمة بون واضح بين الثقافة من جهة والإعلام من جهة ثانية، على الرغم من التقارب بينهما، فالثقافة مهمتها تحسين السلوك بالدرجة الأولى، وإن لم تنتهِ مهمتها عند هذا الحد، أما الإعلام فيهتم بالدرجة الأولى بصناعة الرأي وتوجيهه، لذا فإن هذا الفارق الواضح بين الثقافة والإعلام، يؤكد ويؤصِّل دور الثقافة، ويجعلها تتقدم دائما على دور الإعلام في صناعة القيم وطبيعة السلوك المجتمعي، من هنا توجد ثمة جدلية في العلاقة بين الاثنين، أي أن هناك علاقة متداخلة تربط بين الثقافة والإعلام، لأن الأخير هو الوسيلة الأساسية لبث الثقافة وتوابعها، ونشرها وترسيخها في الوسط المستهدَف، وبهذا عندما تقود الثقافة الإعلام سوف

(١) علي حسين عبيد، التسميم الاعلامي والتعبير الثقافي، شبكة النبأ المعلوماتية، ١٩ - ٦ - ٢٠١٨ .

تنفتح آفاق واسعة لتجديد الحياة عبر أطر ثقافية متجددة، كون الثقافة، منهج حياة متعدد المسارات، يتحرك وفق ضوابط متعددة أيضا منها ما هو ديني، أو عرفي، أو قانوني وضعي، أو أخلاقي، كذلك تنطوي الثقافة على فكر واضح الأبعاد يتعلق بطبيعة سلوك الإنسان الفرد والجماعة، ويتحكم باتجاهات السلوك المجتمعي وقبل ذلك بتفكيره ودرجة وعيه لهذا أعطيت الأولويات للثقافة في الأدبيات والفلسفة وسواها من موجهات أخرى.(١)

لذلك يخطئ من يقول أن الإعلام يمكن أن يكون بديلا للثقافة، أو أنه قادر على قيادتها، اذ يمكن أن يسهم الإعلام في تطوير الثقافة وصناعة المثقف، ولكن تبقى الثقافة هي المورد الأساس والمطوِّر الأول للإعلام، فالتفكير وعمقه وحداثته يبقى هو المرتكز لانطلاق الإعلام الناجح في مهامه لذلك لا يمكن للإعلام بوسائله وقنواته وأشكاله المتعددة، أن يشكل بديلا للثقافة، ولا يمكنه القيام بدور مماثل لها، لأنه لا يمتلك الجوهر الفكري القادر على صناعة أو إدامة منظومة القيم المجتمعية، ومن الخطورة بمكان أن يتحكم الإعلام بالثقافة أو يقودها، لأنه لا يمتلك الفكر ولا القيم التي يمكن أن تعكسها الثقافة على الإعلام وليس العكس، ولكن قد يحدث أن يتقدم الإعلام على الثقافة لأسباب عديدة، أولها ضعف الوعي المجتمعي بخصوص الثقافة ودورها في البناء والتطوير، كذلك سيطرة الدولة أو الحكومة على الإعلام وجعله تابعا لها او لجهات محددة لا علاقة لها بحاجات المجتمع الثقافية والفكرية، وهذا ما يحدث في الأنظمة الاستبدادية اذ يكون الإعلام في قبضة النظام السياسي فيؤدي دورا مشوَّها وخاطئا في قيادة الثقافة من سيّئ إلى أسوأ، فنحن نعرف مدى قدرة الإعلام على الترويج لنماذج -على الرغم

(١) علي حسين عبيد، التسميم الاعلامي والتغيير الثقافي، مصدر سبق ذكره .

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

من عدم أهميتها وفقدانها للجوهر الثقافي او الأخلاقي- لكن بمقدور الإعلام أن يجعل منها نماذج يقتدي بها الآخرون، على الرغم من أنها لا تستحق أن تُقدَّم على أنها نموذج للآخرين، ولكن نتيجة التلميع الإعلامي يحدث أن يتحوّل المشوَّه إلى سليم ويصح العكس أيضا وهنا تكمن خطورة الإعلام عندما لا تقوده الثقافة، وعندما يكون هو موجّها لها.[1]

وهنا يبرز تساؤل يفرض نفسه مفاده هل ان التسميم الاعلامي مأخوذ من التسميات الطبية كالتسمم الدوائي او التسمم الغذائي، وهل له انواع عدة تتنوع حسب نوع الوسيلة الاعلامية ؟

لقد اجاب الكاتب خالص جلبي على هذه التساؤلات في مقالته المنشورة في صحيفة الاتحاد، اذ يرى ان الطب عرف ضروباً من التسمم، مثل الغذائي بالانسمام الوشيقي وهو قاتل، والتسمم الدوائي كما يحصل مع المنتحرين بأخذ جرعة دوائية فوق تحمل الجسم، أو الجراحي بقطع شرايين الرسغ، وهناك تسمم الاسبتوز الرئوي في المصانع، والتسمم بالفيتامينات في جرعتها الزائدة، أو بدواء الديجتال للقلب كل هذا الحديث هو عن التسممات الدوائية والغذائية والإشعاعية، لكن ما حدث في ربيع ٢٠١١ أن الناس تناولت الجرعة السمية شبه القاتلة من القنوات الفضائية وبرامجها السياسية، التي أصبح نجومها يحظون بشهرة واسعة، بل تحول بعضها إلى ملَك الموت وقابض الأرواح إلى عالم الأتراح؛ فأي نظام أتتها التعليمات بالتوجه نحوه معناه أن عليه التهيؤ لملاقاة ملَك الموت، وأي نظام سكتت عنه سكت عنه الموت إلى أجل مسمى، أما الناس فقد ضاع حسها في غمرة النشوة، وهي ترى الدم المراق على الشاشات، وتقول: هل من مزيد؟ فقدت قدرة التحليل والمراجعة، وتعيش

(١) علي حسين عبيد، التسميم الاعلامي والتغيير الثقافي، مصدر سبق ذكره

ما يشبه الهلوسة الجماعية، ومع هذا استفدنا عدة فوائد، منها معرفة الترياق الشافي من سموم الأنظمة الشمولية، ألا وهو العصيان المدني، كما عرفنا كم يخالف الساسة نواياهم ولو صدقوا.(١) وبذلك يتضح التسميم الاعلامي في اكثر من وسيلة اعلامية، ويتم استقطاب نخب فكرية وثقافية، من اصحاب الرأي العام وذو النفوذ، والتأثير الفعال في المجتمع، وتضخ لهم افكار وقيم، يتبنوها في المرحلة الاولى، ثم يقومون بترويجها بين صفوف المجتمع، بما يتيسر لهم من وسائل اعلامية وثقافية، يطلق عليها التسميم السياسي، وهو نوع من الحرب النفسية، التي تهدف للقضاء على الشعوب، وعلى حضارتها وثقافتها .(٢)

الفبركة وصناعة الاخبار الكاذبة مداخل للتسميم الاعلامي

اتضح مفهوم التسميم الاعلامي بأبعاده النفسية بصورة اكثر وضوحا وبروزا عندما لجأت بعض المؤسسات سواء كانت اعلامية او بحثية إلى ما يسمى بـ(الرسم البياني النفسي)، أو مرسمة الانفعالات النفسية، أو البروفايل النفسي، وهو الوعاء الذي فيه يتم إلقاء الزخم المعلوماتي البحثي، ففي مجال التسويق والإعلان يتم الاهتمام بالبروفايل النفسي بجانب العنصر الجغرافي والديمغرافي والسلوكي لتقسيم العملاء والترويج للمنتج الاستهلاكي، ويختص الرسم البياني النفسي بتحليل نمط الحياة الاستهلاكية من أجل إنشاء بروفايل

(١) خالص جلبي، التسميم الاعلامي، صحيفة الاتحاد، ٣٠ مارس ٢٠١١، https://www.alittihad.ae/wejha-tarticle/58328/. .

(٢) عبد الحمزة السلمان، الحشد الشعبي والتسميم السياسي العالمي، وكالة عين للأنباء، http://eye-n.com/index.php/permalink/126019.html، تاريخ الدخول للموقع ١٣ – ٨ – ٢٠١٩ .

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

مفصل عن العملاء، وعندما يضاف إلى الخصائص الجغرافية والديمغرافية يقدم صورة أكثر واقعية للفئة المستهدفة. فإذا كان الجانب الديمغرافي يحدد مَنْ يشتري، والمجال النفسي يستكشف لماذا يشترون، فإن البروفايل يقدم لمحة سريعة عن الأشياء التي يقدرها العملاء والأشياء التي يقومون بها في أوقات فراغهم وكيف يشعرون تجاه أنفسهم.[1]

وأسهمت البيئة الرقمية الجديدة بمنصاتها ووسائطها المختلفة في تغير نمط إنتاج وتوزيع المحتوى الذي بات يُنْقَل «من الجميع إلى الجميع»، وهو ما حوَّل الانتباه باتجاه الحوامل الجديدة والمحتوى نفسه الذي تزداد أهميته بين الفاعلين، أفرادًا ومؤسسات ودولًا، ليس فقط في إبراز التَّمثُّلات والرؤى حول القضايا والأحداث الجارية، وإنما في الصراع الرمزي والقيمي بين مختلف القوى عبر حروب إعلامية تُسْتَخْدَم فيها جميع الوسائل المشروعة وغير المشروعة، وتُسْتَثْمَر فيها أيضًا خصوصية البيئة الرقمية التي تُؤَمِّن مجالًا واسعًا لانتشار السرديات البديلة في زمن اتصالي أفقي.[2]

وفي سياق هذا الصراع الرمزي، أصبح المجال الرقمي-الشبكي بنموذجه الاتصالي الأفقي، وحالته الإعلامية السائلة وتمدُّد شبكاته ومنصاته، ملاذًا ومَحْضنًا لاصطناع الأخبار والوقائع وفَبْرَكَةِ البيانات، فضلاً عن تزييف الأحداث وتركيب سياقاتها. وتفاقم ذلك مع اندثار سلطة حارس البوابة، لاسيما في شكلها الرقابي، بعدما كان الإعلام التقليدي بنموذجه الإخباري العمودي يُمَكِّن شبكة الحراس من التَّحكُّم في

(١) محمد الراجي، صناعة الأخبار الكاذبة ولولب الحصار المعلوماتي للرأي العام، مركز الجزيرة للدراسات، دراسات اعلامية، ٢٧ آيار ٢٠١٨، ص٥.

(٢) محمد الراجي، مصدر سابق، ص٢ .

الحلقات الاستراتيجية لعملية الاتصال والسيطرة على سلاسل إنتاج المحتوى. فلم تعد هناك أية سلطة تُحدِّد مدخلات ومخرجات المحتوى -وتبتُّ فيما يُنْشَر وما لا يُنْشَر عبر منصات إعلام الفرد والنَّحْنُ، لا سيما الإعلام الاجتماعي، ووصوله إلى المتلقي- سوى المستخدم نفسه الذي أصبح مُنْتِجًا ومُرْسِلاً ومُسْتَقْبِلاً في الآن ذاته، ومالكًا لسلطة القرار في جميع الحلقات التي يحددها هو لإنتاج هذا المحتوى.

وقد ساعدت الحالة السائلة للإعلام الرقمي، التي ترافقت مع الجيل الثاني للويب (٢,٠) واختلَّت فيها أيضًا سلطة الضوابط المهنية، على التوسع في إنتاج الأخبار الكاذبة وانتشارها، خلافًا لمرحلة الجيل الأول للويب (١,٠) التي أسهمت بشكل غير مباشر في مشاركة الأخبار وانتشار المعلومة والمعرفة، وتدوين الآراء والتجارب الشخصية، وأيضًا التعاون في إنتاج المحتوى والكتابة المشتركة للوثائق، كما عززت ظاهرةُ المصادرِ المُجَهَّلَة والأسماءِ المستعارة التَّحَلُّلَ من القواعد الأخلاقية والضوابط الاجتماعية للحوار، وولَّدت الشعورَ بالإفلات من المحاسبة، الذي يشجع على ترويج الإشاعة والدعاية بكل أصنافها، ومن ثم تسميم الاجواء عن طريق وسائل الاعلام، وتُظهر الملاحظة الاستكشافية لواقع الأزمات السياسية الراهنة، التي كان الإعلام إما متغيرًا أساسيًّا في تفجيرها أو مُظهرًا كاشفًا لدينامياتها، بُروزَ ظاهرة الأخبار الكاذبة، وتعاظمَ صناعتِها وانتشارِها الواسع في سياق الصراع الرمزي والأيديولوجي لإنشاء معان وإنتاج سرديات بديلة، أو ما سُمِّي بـ«الحقائق البديلة»، لمواجهة الخطاب المُنَافِس والخصوم السياسيين، أفرادًا ومؤسسات وكيانات سياسية، عبر شبكات التواصل الاجتماعي والإعلام الجديد عمومًا. فتنشط الجيوش والذباب الإلكتروني في الترويج لخطاب القائم

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

بالفبركة، وإغراق المجال العام الرقمي والتقليدي أيضًا بالأخبار الكاذبة عن الخصم السياسي، والتشويش على الخطاب المُنَافِس من خلال مئات الحسابات الوهمية.[1]

وتبدو صناعة الأخبار الكاذبة اليوم – على الرغم من قِدَم هذا النمط الاتصالي– ظاهرةً أكثر تعقيدًا في سياقها الرقمي؛ اذ تتشابك أبعاد تكنولوجية واتصالية ومعلوماتية وعلمية وأمنية واستخبارية في صناعتها، كما تتدخل شبكة واسعة من الفاعلين أو القائمين بالفبركة في سلاسل إنتاجها والترويج لها (شركات العلاقات العامة، شركات تحليل البيانات والاستشارات السياسية، المؤسسات الفكرية والبحثية، مراكز استطلاع الرأي، منصات التواصل الاجتماعي... وغيرها)، خلافًا لنموذج الدعاية الذي اقترن بوسائل الإعلام التقليدية ونمطها الاتصالي العمودي الذي يجعل القائم بالدعاية ومصدرها معلومًا، والخطاب الدعائي نفسه مرصودًا. ولا تُساعد معظم المقاربات والنماذج المعرفية، والأنماط الاتصالية التقليدية، مثل نموذج الدعاية والتضليل الإعلامي، ولا حتى بعض الأفكار والمفاهيم الحديثة، مثل الحقائق البديلة أو ما بعد الحقيقة، في تأطير ظاهرة الأخبار الكاذبة وتقديم تفسير لمحدداتها واستراتيجيات صناعتها وآليات اشتغالها وأهدافها، وعلاقتها بتشكيل الرأي العام ومراحل التأثير في اتجاهاته المعرفية والنفسية والسلوكية، لاسيما في ظل التعقيد الذي يميز هذه الظاهرة كما يبدو في الحالات الثلاث السابقة.

وبمراجعة السياقات التي أظهرت عمليةَ إنتاجِ الأخبار الكاذبة، باعتبارها صناعة اتصالية–سياسية لامتناهية، أي جهدًا اتصاليًّا استراتيجيًّا مخططًا لمراحل اصطناع مواضعاته السياسية الناشئة والترويج لها، فإن القائم بالفبركة يسعى

(١) محمد الراجي، مصدر سابق، ص٢ – ٣ .

إلى تسييج الرأي العام بالأخبار الكاذبة ومحاصرة الخطاب المُنَافِس أو السرديات السائدة، وكذلك تطويق نشاط الأفراد والجماعات والمؤسسات التي تنشر هذا الخطاب، وأيضًا محاصرة الدول التي تكون اختارت نسقًا أو نموذجًا سياسيًّا واقتصاديًّا وقيمًا ثقافية ورمزية تتعارض مع نسق أو نموذج الحياة العامة الذي اختاره القائم بالفبركة. وهنا، فإن عملية إنتاج الأخبار الكاذبة ليست صناعة اتصالية مُؤَسَّسِيَّة ترتبط فقط بكيانات سياسية (أحزابًا ودولًا) أو جهات أمنية أو مؤسسات فكرية-بحثية وشركات تحليل البيانات والاستشارات السياسية والعلاقات العامة، وإنما يوجد أيضًا أفراد قائمون بالفبركة ليس لهم أحيانًا أي انتماء أو تعبير سياسي، وقد تكون دوافع الاتصال التزييفي لديهم اجتماعية ونفسية وكذلك عنصرية، وربما ينخرطون أو يكونون جزءًا من شبكة الاتصال التزييفي المؤسسي أو على الأقل دعمها والتسويق لبرامجها في إطار عمل الجيوش والذباب الإلكترونيين. ورغم ذلك ينبغي التمييز بين نمطين أو نموذجين من الاتصال التزييفي، هما: الاتصال التزييفي المؤسسي والاتصال التزييفي الفردي، ولكل واحد منهما محدداته وأطره وأهدافه واستراتيجياته. وسنركز في هذه الدراسة على الاتصال التزييفي المؤسسي المرتبط بالكيانات السياسية والمؤسسات التي تسوق له وتخدم أجندته.[١]

وتظهر عملية التسميم الاعلامي في المرحلة الثانية من صناعة الأخبار المفبركة فتتميز بالانغمار في ضخ المعلومات والبيانات المفبركة والتحليلات المزيفة عبر موجات أو هجمات لَوْلَبِيَّة عاصفة من قِبَل القائم بالفبركة وتوجيه تلك الهجمات لأغراض وأهداف شبكة القائمين بالفبركة، وفي هذا السياق تُنْشَأ حسابات وهمية لشن حملات إلكترونية

(١) محمد الراجي، مصدر سابق، ص٤ .

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

تقوم فيها شركات الدعاية والإعلانات ومراكز استطلاعات الرأي والمؤسسات البحثية وأيضًا الجيوش الإلكترونية بجهد اتصالي منظَّم لمضاعفة الضغط على الخطاب المنافس والجهة التي تُمَثِّلُه، ويعتمد هذا الجهد الاتصالي على نتائج الأبحاث التي تُجْرَى حول الجمهور الذي يُرادُ محاصرته وتسييجه بالأخبار المفبركة، لاسيما فيما يتعلق بعاداته الاتصالية، ومركب تفضيلاته لوسائل الإعلام التقليدية ومنصات الشبكات الاجتماعية، واحتياجاته المعرفية والسياسية، وميوله واتجاهاته النفسية والأساليب والبرامج التي قد تساعد في التأثير على سلوكه وخلق الاستجابة لرغبات القائم بالفبركة.

وتبرز العلاقة بين التسميم الاعلامي والتسميم السياسي في المرحلة الثالثة، وهي تتشابك مع المرحلة الثانية، اذ يتم فيها الترويج والتسويق السياسي لخطاب شبكة المفبركين وسردياته البديلة عبر جميع وسائل الإعلام التقليدية والجديدة ووسائط الاتصال المختلفة للتأثير في الرأي العام معرفيًّا ونفسيًّا وسلوكيًّا في مرحلة ثالثة. وهنا، يراهن القائم بالفبركة على الحملات الدعائية والإعلانية الممولة التي تقوم بها مؤسسات بحثية وفكرية ومنصات اجتماعية بشكل خاص، وأيضًا دعم الأنشطة السياسية للأطراف التي تعارض اختيارات الخصم السياسي للقائم بالفبركة والترويج لأطروحاتها في المحافل الرسمية والدولية، وهنا، لا يميز القائم بالفبركة بين الوسائل المشروعة والوسائل غير المشروعة، أو الأهداف النبيلة والغايات غير النبيلة، فهو يستغل كل ما من شأنه أن يخدم صناعة الأخبار الكاذبة باتجاه محاصرة الرأي العام وتأمين انتشار سردياته البديلة، وهكذا، يتوسع لولب الحصار وموجاته في «خنق» تدفق الخطاب المنافِس أو السرديات السائدة ثم التأثير تدريجيًّا في المستخدمين عبر بث خطاب بديل يحاصر وعي الجمهور

المستهدف بالفبركة.[١]

نماذج من اساليب التسميم الاعلامي في الواقع العراقي

رصد المؤلف عدد من حالات التسميم الاعلامي ذو البعد السياسي في الواقع العراقي كانت لها وجود مباشر في وسائل الاعلام، وكان لمواقع التواصل الاجتماعي وتحديدا الفيس بوك النصيب الاكبر في هذه الممارسة، ويمكن تسليط الضوء على بعض من هذه الحالات وكالاتي:

١- تغريدات بعض السياسيين

واحدة من الاساليب التي يمكن ان تخلق اجواء غير مستقرة هي تغريدات بعض السياسين ولا سيما عندما يرتبط ذلك بالوضع الامني، فبعض التغريدات ترتبط بقضية امنية او عرقية او طائفية في محاولة لاستغلال حوادث معينة بطريقة او بأخرى لتحقيق غايات معينة دون وضع حسابات لما سوف تؤول اليه هذه التغريدات من نتائج على مستوى حراك الشارع او غضبه او ما تتركه هذه التغريدات من اثار نفسية .

ومن بين هذه التغريدات قضية مظلومية فئة معينة او شريحة معينة منها ما سمي بـ (المغيبين او المطرودين من اماكن سكناهم) بزعم مصطلح التغيير الديموغرافي ،وقد برزت هذه التغريدات بعد تحرير المدن العراقية التي كانت تحت سيطرة تنظيم داعش الارهابي، وقضية الاقليات وداعش ومنها موضوع الايزيدين والمسيحيين في سهل نينوى .

ومن هنا يبرز تساؤل يفرض نفسه: هل كانت هذه التصريحات او التغريدات مدروسة ام عفوية ؟

٢- بعض الخطابات ذات البعد الديني

تصدر احيانا بعض الخطابات التي تتناول موضوعا دينيا لكنه يطرح بطريقة غير مدروسة او لا تأخذ بالحسبان ما تتركه هذه الخطابات من اثار تؤدي الى

(١) محمد الراجي، مصدر سابق، ص٥ – ٦ .

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

تسميم الأجواء المجتمعية لا سيما عندما تكون وسائل الاعلام بمختلف انواعها ومواقع التواصل الاجتماعي هي وسيلة نقل هذه الخطابات .

ويدخل ضمن هذا السياق ايضا الخطابات المكتوبة ولاسيما اللافتات المعروضة في الساحات العامة والتي تستغل مناسبات دينية معينة لأغراض تحريضية تسمم الاجواء.

٣- تداول فيديوهات محرضة

واحدة من مظاهر التسميم الاعلامي تداول فيديوهات تظهر عمليات قتل وتعذيب، فقد انتشرت في الآونة الاخيرة هذه الظاهرة عبر مواقع التواصل الاجتماعي (الفيس بوك، تويتر، واتساب، الفايبر).. وغيرها، وتركت هذه الفيديوهات آثارا سلبية بين المواطنين ونمت الشعور بالكراهية مما خلقت اجواء مسمومة .

٤- انحراف مسار بعض المباريات الرياضية

وهذه واحدة من الحالات التي ساهمت بشكل واخر في تسميم الاجواء الاعلامية بدلا من ان تكون عامل الفة وتلاحم، فعندما تكون بعض التجمعات العامة هدفها توجيه رسالة لفئة معينة هي رسالة كراهية او رسالة ولاء فأنها يمكن ان تؤدي الى تسميم الاجواء .

٥- بعض اللقاءات التلفزيونية (البرامج الحوارية) المباشرة او المسجلة

ويتركز التسميم الاعلامي في هذه اللقاءات عند استخدام مفردات او كلمات بذيئة لاستقطاب جمهور او شريحة معينة .

٦- الاغاني الهابطة

وتعد واحدة من اساليب التسميم الاعلامي الاكثر خطورة في تفتيت القيم المجتمعية ولاسيما الاغاني التي تكون مفرداتها بذيئة او سب وشتم او ايماء او تلميح للغرائز، او مفردات فاحشة .

٧- الالعاب الالكترونية

وهذا النوع من الادوات والاساليب

لا يقتصر على التسميم الاعلامي بل يتعدى ذلك ليشمل الانشطة الاتصالية ذات التعامل النفسي مثل غسيل الدماغ الالكتروني والتحوير الفكري وغيرها .

فقد انتشرت هذه الظاهرة مع تطور تقنيات تكنولوجيا الاتصال، وباتت متاحة للجميع ولا سيما عند فئة المراهقين والشباب .

٨- النزاعات العشائرية

واصبحت هذه الظاهرة ملفتة للنظر، اذ ان التركيز عليها اعلاميا بطريقة تحريضية يدخل ضمن عمليات التسميم الاعلامي والتي تؤدي الى تفاقمها بدلا من الحد منها، وان السكوت عنها قانونيا ومجتمعيا يؤدي الى عدم وجود استقرار نفسي ومجتمعي.

٩- المراكز البحثية الوهمية والمحللين المجهولين

تصدر احيانا تقارير واستطلاعات من مراكز استطلاعية وهمية او غير معروفة تظهر ارقام ونسب معينة هدفها تسميم الاجواء والتضليل، كما يظهر لدينا محللون غير معروفين اساسا تطلق عليهم اوصاف وصفات ومهارات لا يمتلكونها في الحقيقة، ويحللون قضايا وموضوعات بطريقة تؤدي الى التضليل والتسميم الاعلامي وهذه تعد واحدة من ادوات التسميم الاعلامي التي لجأت لها بعض القنوات .

١٠.المجموعات الحوارية في مواقع التواصل الاجتماعي

تشكل في مواقع التواصل الاجتماعي ومنها الفيس بوك مجموعات حوارية تفتح مناقشات لقضية او موضوع معين ولكنه حساسا وذو مغزى وتستغل هذه الحوارات احيانا للدفع نحو تسميم الاجواء، وعليه يمكن ان نعد هذا الاسلوب وبهذه الطريقة مدخلا للتسميم الاعلامي .

١١.تسميم الافكار عبر المراحل الدراسية المختلفة

يمكن ان يكون طرح احد المعلمين

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

والمدرسين لموضوع معين يعبر عن قناعة عقائدية او سياسية خلال المادة الدراسية مدخلا للتسميم الفكري والذي قد يتحول الى تسميم اعلامي فيما لو تم نقله عبر وسيلة اعلامية معينة او تتداوله مواقع التواصل الاجتماعي .

المصادر المعتمدة

١- سعد العبيدي، الحرب النفسية في النظام الدولي الجديد واتجاهات التحصين في المنطقة العربية والاسلامية، شبكة النبأ المعلوماتية، https://annabaa.org/n b a 5 5 / h a rbnafsia.htm.

٢- رمزي المنياوي، الحرب النفسية والطابور الخامس - فن تحطيم العدو من دون حرب وانزال الهزيمة به دون قتال، دار الكتاب العربي، دمشق - القاهرة، ٢٠١٠.

٣- زيد البعوه، دور وسائل الاعلام في مواجهة الحرب النفسية، يمانيو، https://www.yamanyoon.com/?p=68007، تاريخ الدخول ٢٠ - ٧ - ٢٠١٩ .

٤- نزار أبو منشار (١٣-٨-٢٠١٤)، «الحرب الإعلامية»، wattan، اطّلع عليه بتاريخ ٣-٧-٢٠١٨. بتصرّف Maj Brady، -The Role of - defence- . 5 ،«Media in War journal، Retrieved 3-7-2018. Edited.، بدلالة اكبر موقع عربي على الشبكة الدولية، موقع موضوع، مفهوم الحرب الاعلامية، ١٧ اغسطس ٢٠١٨، على الربط www.mawdoo3.com

٥- محمد قيراط، الحرب النفسية والدعاية والتضليل في تغطية الازمات، بوابة الشرق الالكترونية، الجمعة ٢٤ - ٨ - ٢٠١٨ .

٦- محمد عبد الحميد، حرب بلا قتال، مجلة المعركة، الاثنين ٢٦ كانون الاول ٢٠١٦ .

٧- جبار محمود، استلابات الحرب النفسية الاعلامية، النبأ، العدد: ٣٨، رجب ١٤٢٠ هـ .

٨- حافظ آل بشارة، الفراغ الاعلامي ونمو الشائعات، وكالة انباء براثا، ١٨ - ٤ - ٢٠١٠ .

٩- ارشيف حوار الخيمة، التسمم السياسي، ٢٨ - ٢ - ٢٠٠٥ .

١٠.كمال عبيد، صور التسميم السياسي في العراق، شبكة النبأ المعلوماتية، السبت ٢٦ اذار ٢٠١٥ .

١١.المنتدى العربي للدفاع والتسليح، مقاومة الحرب النفسية، الجزء الاول، ٢٦ نوفمبر ٢٠٠٩ .

١٢.احمد عبد المجيد، تمظهرات الحرب النفسية من الغزو الامريكي الى التمدد الداعشي في العراق وسوريا، ط١، دار امجد للنشر والتوزيع، المملكة الاردنية الهاشمية ٢٠١٨.

١٣. ينظر الى موقع افكاري، الحرب النفسية، ١٥ - ٨ - ٢٠١٢، https://hamz e h a m m a d e . w o r d p r e ss.com/2012/08/15/ .

١٤. سيف الدين عبد الفتاح، الخطوط الحمر والتسميم السياسي، صحيفة الاهرام المصرية، الاحد ٢٦ مايو ٢٠١٣، العدد: ٤٦١٩٢ السنة ١٣٧ .

١٥. يحي اليحياوي، في تجاذبات العلاقة بين الاعلام والاتصال والسياسة، مركز الجزيرة للدراسات، الاثنين ٢٣ يونيو ٢٠١٤ .

١٦. عبد الرزاق عبد الحسين، التسميم السياسي وعزلة الثقافة الروحية، شبكة النبأ المعلوماتية، السبت ٢٣ نيسان ٢٠١٧ .

١٧. ينظر الى: فريق التحرير، الهجوم على عقل العدو ... عن الحرب الاعلامية في العصور، نون بوست، ٢٥ - ٩ - ٢٠١٩، https://www.noonpost. com/content/26629 .

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

١٨. عبد الفتاح ماضي، التسميم السياسي للمصريين والعرب، موقع د. عبد الفتاح ماضي، تاريخ الدخول للموقع ٢٩ – ٧ – ٢٠١٩ .

١٩. ابراهيم، البيومي غانم، التسميم الاعلامي للوعي الجمعي، اضاءات، ١٤ – ٥ – ٢٠١٨ .

٢٠. كمال عبيد، صور التسميم السياسي في العراق، شبكة النبأ المعلوماتية ،السبت ٢٦ اذار ٢٠١٥ .

٢١. علي حسين عبيد، التسميم الاعلامي والتعبير الثقافي، شبكة النبأ المعلوماتية، ١٩ – ٦ – ٢٠١٨ .

٢٢. خالص جلبي، التسميم الاعلامي، صحيفة الاتحاد، ٣٠ مارس ٢٠١١،
https://www.alittihad.ae/wejhatarticle/58328/ .

٢٣. عبد الحمزة السلمان، الحشد الشعبي والتسميم السياسي العالمي، وكالة عين للأنباء،
http://eye-n.com/index.php/permalink/126019.html،
تاريخ الدخول للموقع ١٣ – ٨ – ٢٠١٩ .

٢٤. محمد الراجي، صناعة الأخبار الكاذبة ولولب الحصار المعلوماتي للرأي العام، مركز الجزيرة للدراسات، دراسات اعلامية، ٢٧ آيار ٢٠١٨.